تصنيف دُمَى الصُّوَّان البشرية عالميًا بحسب الجنس وقراءة في الشكل والإيحاء

عبدالرزاق المَعْمَري

ملخّص: خُصص هذا البحث لتصنيف الأشكال الصوانية البشرية (Flint Figurine) بحسب الجنس (Gender) على مستوى العالم لأول مَرَّة، مع التركيز على سمات التأنيث، والتذكير فيها؛ لما لهذا التصنيف من أهمية في فهم معاني هذه الأشكال وأسرارها، إضافة إلى قراءة في الشكل والإيحاء. يتضمن هذا البحث (٨٤) شكلًا من أوروبا الشرقية، والشرق الأقصى، وسيبيريا (روسيا الاتحادية)، أشكالًا بشرية وحيوانية، و٦٨ شكلًا من أمريكا بعضها مكرر، و٢٣ شكلًا من مِصر، كما يتضمن ٢٥ شكلًا من الثُّمامة في الرياض، وشكلًا وحيدًا من الخماسين في الربع الخالي، إضافة إلى ١١ شكلًا من خريصان في الأردن. كانت هذه الأشكال قد صنفت أدوات للصيد فأعاد الباحث تصنيفها إلى دُمى بشرية؛ أمَّا الأشكال البشرية الصوانية التي عُرفت في العالم فقد كانت تصنّف (Anthropomorphic) (شبه بشرية). هذه الأشكال الصوانية في الجزيرة العربية والشام كان الباحث أعلن عنها من خلال ثمانية نماذج في بحث سابق ضمن موضوع آخر قدّم للنشر في عام ٢٠٢٠م (المعمري: تحت الطبع١). على أنها أشكال بشرية، وليست أدوات صيد، وفي بحث آخر درس الباحث الأشكال المذكورة من روسيا، والجزيرة العربية، والشام، ومصر، إضافة إلى ٣١ شكلًا من العدد المذكور في أمريكا، إلى جانب معطيات أخرى لقراءة الفكر، والعقيدة، وتطورهما من خلال هذه الدُّمى (المعمري: تحت الطبع٢). أمّا هذا البحث فقد خصص لتفاصيل هذا التصنيف بحسب الجنس، وقراءة في الشكل والإيحاء من خلال هذه الأشكال، ولِمَا لم يتم قراءته في البحث السابق (المعمري: تحت الطبع٢).

كلمات مفتاحية: الدمى، دمى الصوان، الثمامة، خريصان، الخماسين.

Abstract: *This research is devoted to classifying flint figurines according to gender worldwide for the first time, with a focus on feminine and masculine traits, due to the significance of this classification in understanding the meanings and secrets of these forms, in addition to a reading in their form and implication. This research includes 84 human and animal figurines from Eastern Europe, the Far East, and Siberia (Russian Federation) (Pl. 2, 3, 4-A, Pl. 4-B: 4, Pl. 5: 4- 5) (Fig. 2-4); 68 forms from America (Pl. 6), with some of which repeated, and 23 forms from Egypt (Pl. 7, Fig. 3). It also includes 25 figurines from Ath-Thoumamah, Riyadh, one from Al-Khomasyin (Empty Quarter) sites (Pl. 1-A, B), and 11 from Khurisan (Jordan) site (Pl. 1-C). These figurines had been classified as hunting tools, so the researcher has reclassified them into human figurines. As for the flint figurines known in the world, they were classified as Anthropomorphic, (semi-human). The researcher had already introduced these artifacts using 8 figurines from the Arabian Peninsula and the Levant as human figurines, not hunting tools in another paper submitted for publication in 2020 AD (Almaamary: in publication 1). In another paper, the researcher discussed all the above-mentioned figurines from Russia, the Arabian Peninsula, and Egypt, in addition to 31 figurines of the above-mentioned number from America (Pl. 5, 9), and an analysis of thoughts, belief, and their development globally through these figurines (Almaamary: in publication 2). As for this research, it has been devoted to the details of gender classifications, analysis of form, implication, and other issues unaddressed in earlier papers.*

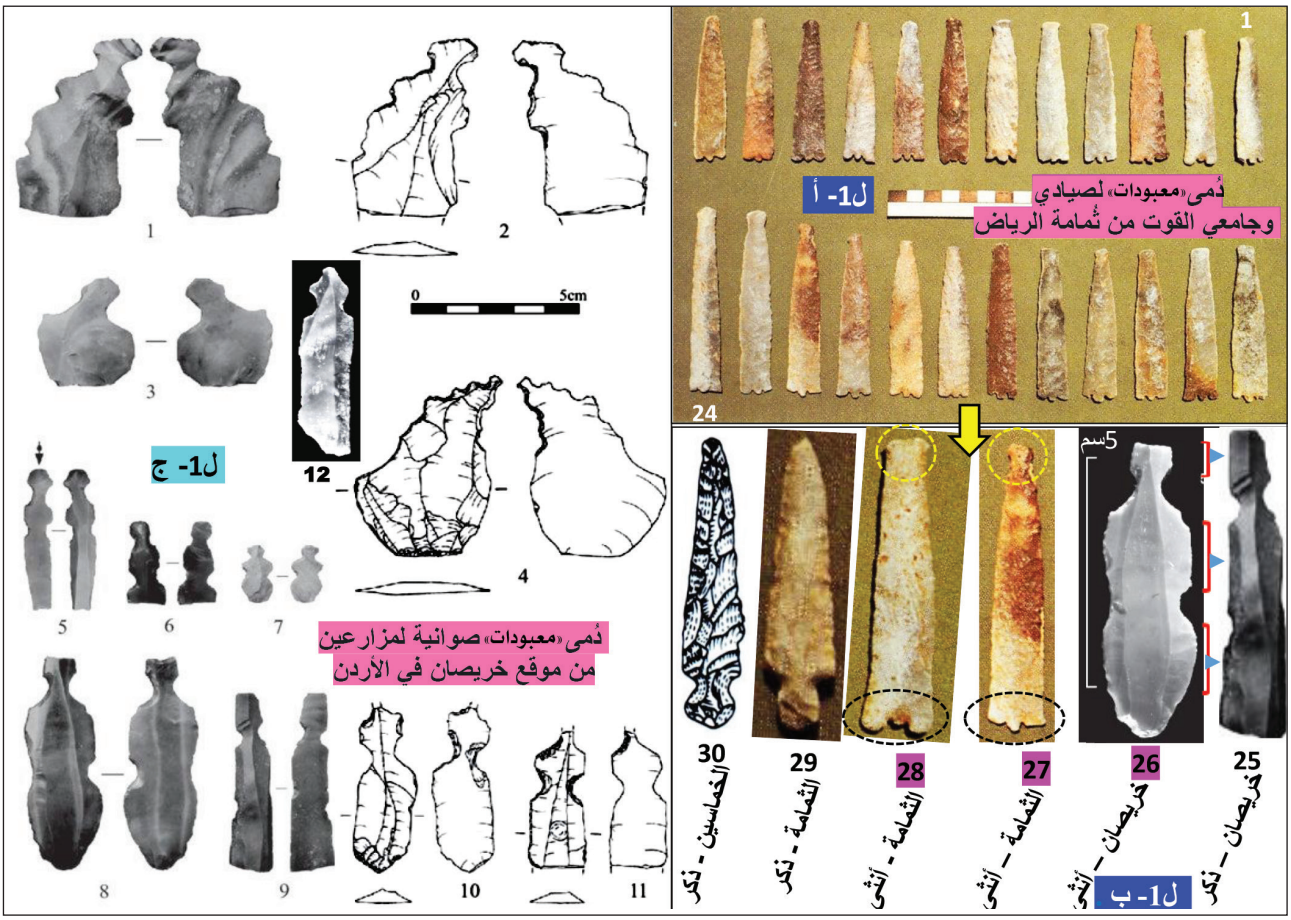

اللوحة ١: أ- ج: مصنوعات حجرية قوّمت في هذا البحث من أدوات صيد إلى دُمى بشرية أنثوية وذكورية عقائدية من الجزيرة العربية والشام. ل١- أ: ١- ٢٤ من الثُمامة في الرياض كانت مصنّفة حرابًا للصيد (أبو درك وآخرون ١٩٨٤)، فأعيد تصنيفها في هذا البحث إلى دمى أنثوية (معبودات)، ل١- ب: ٢٩ كانت مصنفة رأس سهم للصيد ضمن مصنوعات الثمامة فأعيد تصنيفها بصورة احتمالية إلى دُمية ذكورية، ل١- ب: ٣٠ من الخماسين كانت مصنفة رأسًا للصيد (Zarins et. al. 1979) فأعيد تصنيفها إلى دمية احتمالية ذكورية. ل١- ج: ١- ١٢ من موقع خريصان في الأردن كانت مصنفة مُؤنّا لصناعة رؤوس الصيد من نوع الشطائر الحجرية ذات الفتحتين المتقابلتين المزدوجة (Ibáñez et. al., 2016, Borrell 2019) فأعيد تصنيفها إلى دُمى آدمية، (شكل٢ رسم للشكل ١). ١- ٨، ١٠- ١١ صنفناها دمى أنثوية. الأشكال ٥، ٨، ١٢ نشرت في عام ٢٠١٥ (Ibáñez et. al., 2016)، وفي عام ٢٠١٩ أعيد نشر الشكلين ٥، ٨ ضمن الأشكال الأخرى في اللوحة ل١- ج باستثناء الشكل ١٢ لعدم أهميته من وجهة نظر الباحثين اللذين عثروا على هذه المصنوعات؛ من المحتمل، بسبب عدم وجود فتحات جانبية فيها كغيرها، أمّا الباحث فقد صنفها أنثى متعبّدة، والشكل ٩ يُعدُّ الشكل الوحيد الذي صنفه الباحث دمية ذكورية وسط مجموعة خريصان. جميعها تعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار. دُمى الثّمامة تعبّر عن مجتمع الصيادين وجامعي القوت بما في ذلك دميتي الثُّمامة، والخماسين الذكوريتينّ، بينما دُمى خريصان تعبّر عن مجتمع الزراعة، وأسميناها معبودات، مع أنَّ في الشام وجدت معبودات أخرى مصنوعة من الفخار أكبر حجمًا منها؛ أضف إلى ذلك أن وظائف هذه الدُّمى الحجرية مختلفة عن وظائف الدُّمى الفخارية (انظر المتن).

سيعمل هذا البحث على تصنيف أشكال الصوان بحسب الجنس (Gender) التي يُرى أنها أشكال بشرية وسط الأشكال الأخرى (ل١-أ، ب، ج، د، ل ٢- ٤، ٥: ٧- ١٦، ل ٦، ٧، ش١-٢، ٤) لما لهذا التصنيف من أهمية علمية في معرفة مضمون هذه الأشكال، وأسرارها، ويهدف هذا البحث إلى استخلاص نتائج هذا التصنيف، ومحاولة التعرّف إلى وظائف هذه الأشكال، وقراءة في الشكل والإيحاء. على أنه سيقدّم هذه المادة الأثرية من البلدان التي تم الاتفاق فيها على أنَّ هذه المصنوعات الصوانية تُعدُّ دُمى بشرية وحيوانية تمهيدًا لفهمها، وتقبّلها في الجزيرة العربية، والشام (ل١) بدءًا من روسيا الاتحادية (ل٢- ٤، ش١، ٢، ٤)، كون هذه المصنوعات نالت دراسات مستفيضة فيها (Kashina 2002) أكثر من غيرها، بما في ذلك

اللوحة ١- د: ١- نموذج من رؤوس السهام المعنَّقة من النمط الصحراوي التي استُلهمت منها أشكال الدُّمى البشرية الأنثوية العقائدية في الثُّمامة في الرياض ل١-د: ٢-٤، والذكورية من المحتمل في كل من الثمامة ل١-د: ٦ والخُماسين ل١-د: ٥ حسب التقويم الجديد لهذه المصنوعات؛ فهذه الدُّمى العقائدية تعزز الاعتقاد بوجود فكر عقائدي في العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، ووجود منشآت عقائدية في الثمامة لطقوس دينية ذات صلة ل١- هـ، وسط المنشآت الأخرى الحجرية الأخرى، وأن الثمامة كانت منطقة تلاقٍ للصيادين وجامعي القوت والرعاة لاحقًا من مناطق مختلفة في الجزيرة، وذات بيئة مناسبة للعيش.

اللوحة ١- هـ: منشأة من منشآت العبادة كما يعتقد في واحة الثُّمامة، ومّما يعزز هذا الاعتقاد -إضافة إلى سماتها وتخطيطها- وجود المصنوعات الحجرية التي قوّمت إلى دُمى عقائدية أنثوية (معبودات) في الثمامة نفسها (ل١- أ، ل١-د: ٢-٤)؛ فوجودهما معًا في منطقة واحدة يعزز هذا الاعتقاد، ويجعل كلًا منهما يكمل الآخر، ويؤكد المضمون العقائدي المشترك بينهما؛ ليس هذا وحسب، بل يعتقد من خلال هذه الدُّمى الأنثوية وهذا النوع من المنشآت أن الثمامة كانت مجمعًا (مركزًا) عقائديًا على الأرجح تقام فيه العبادة، إلى جانب تنوّع الأدوات الحجرية فيها ومنشآت الصيد، والمواقد (واحة استيطان وعبادة).

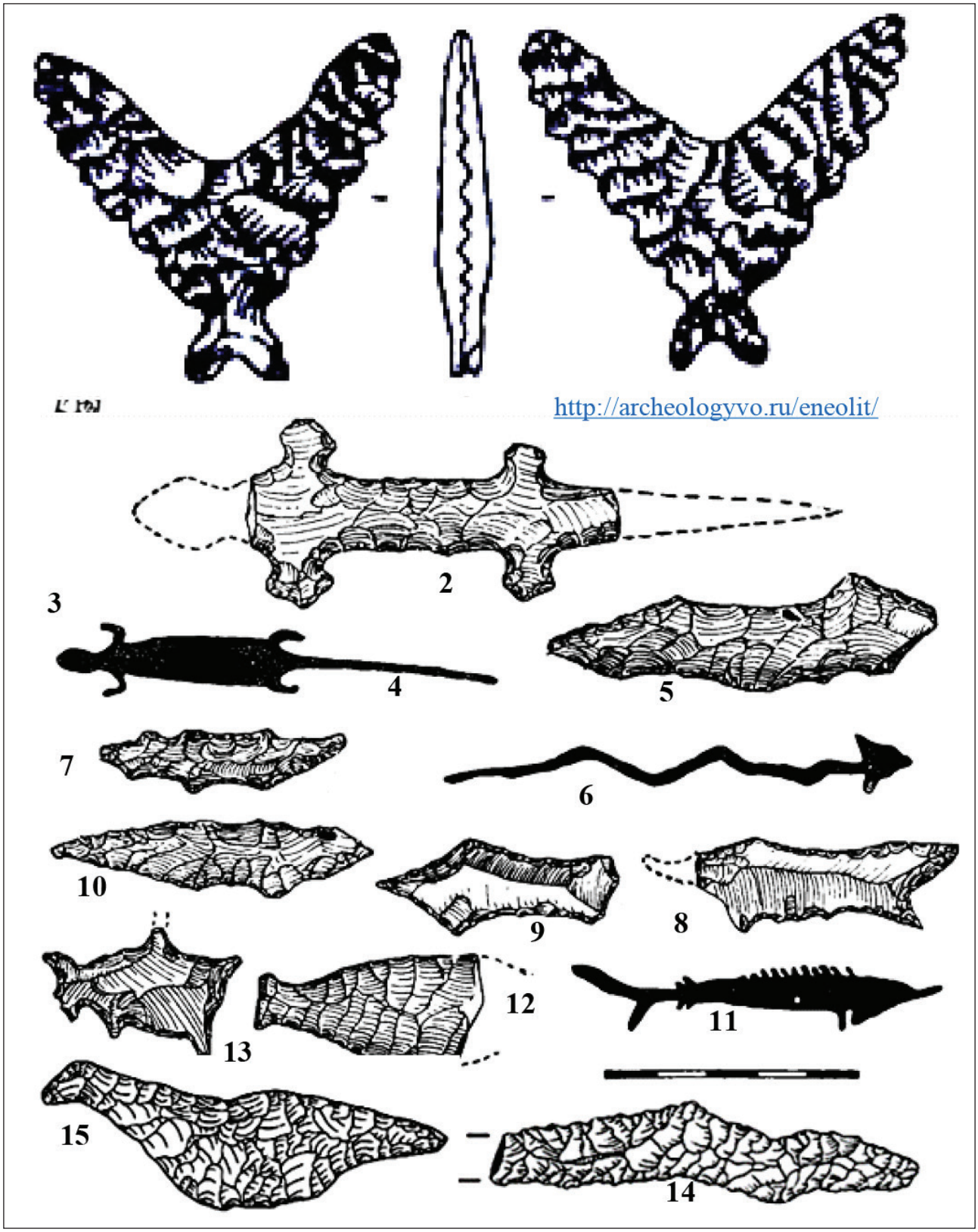

الشكل ١: نماذج من دمى الطيور والزواحف والأسماك التي انتشرت في روسيا الاتحادية خاصة القسم الأوربي الشرقي: ١ من فيوكسا (Vuksa) في فُولوغْدَ شمال شرقي موسكو. ٢، ٤، ١٣ عن (Zamyatnin 1948: fig: 5)، ٣، ١٤، ١٥ عن (Kashina 2005) التي نقلتها وغيرها من باحثين روسيين آخرين.

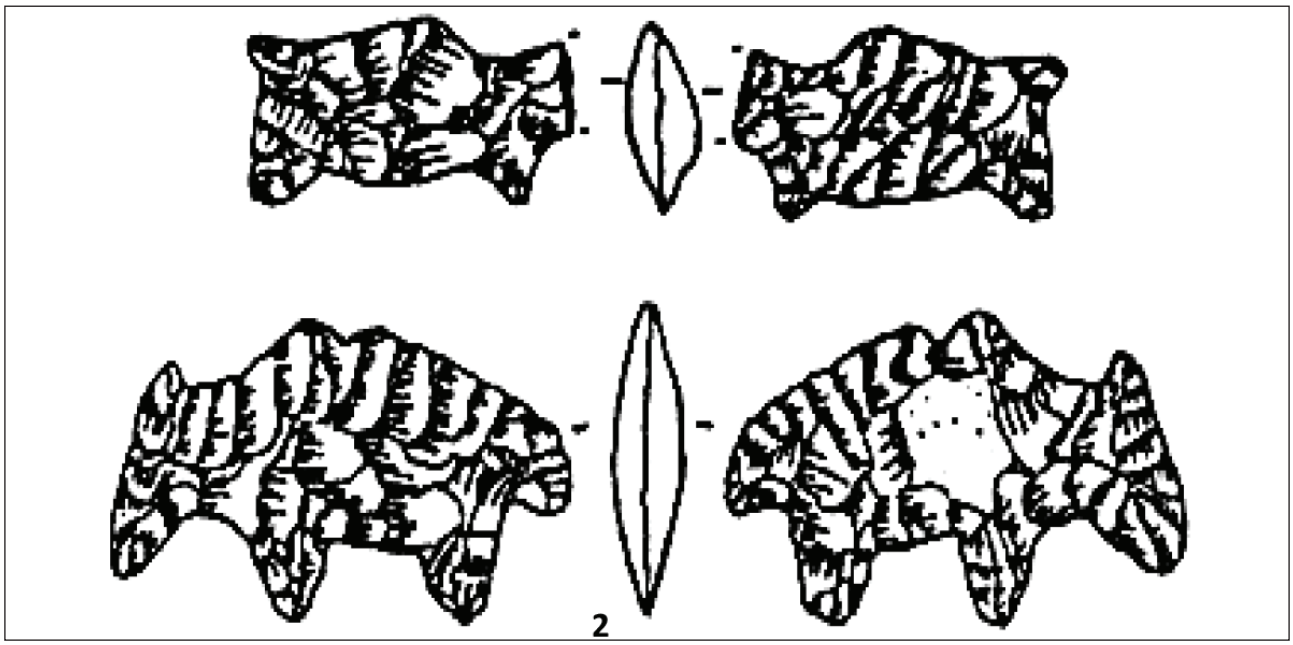

الشكل ٢: نموذجان من الصوان للحيوان من موقع فيكسا في فُولُوغْدَ شمال شرقي موسكو بـ ٦٥ كم. المنحوتة رقم ٢ عن (Kashina 2005).

رسائل ماجستير ودكتوراة، وسيقوم هذا البحث بدراسة هذه المصنوعات على المنهجين التصنيفي – الوصفي، والتحليلي – المقارن المتعارف عليهما في الدراسات الأثرية.

ظهرت هذه المصنوعات في العصر الحجري الحديث، وسمّيت اصطلاحًا الأشكال الصوانية (Figurine Flint) (ل١– ٤، ٦، ٧)، مع أنَّ جميعها ليست من الصوان وحده، بل من خامات أخرى (ل٢: ٣؛ ل٦). ومع أنها أشكال بشرية وحيوانية في الغالب، لكنها تختلف عن التماثيل الكبيرة، والصغيرة الحجم الأخرى[١] البشرية، والحيوانية[٢] التي انتشرت في هذا العصر[٣]، وفي عصور أخرى بسبب عدم وضوح السمات البشرية، وبعض السمات الحيوانية فيها، إضافة إلى تقنية صناعتها. وقد ظلت هذه الأشكال عند اكتشافاتها المبكّر في القرن ١٩م (Joyce 1932, Zamyatnin 1948) غريبة، وغير محددة، ودارت شكوك حولها، ثم صارت تصنّف أشكالًا شبه آدمية (Anthropomorphic figures)، وشبه حيوانية (zoomorphic figures)، وما تزال على هذا التصنيف إلى اليوم.

سيستند هذا البحث إلى ٢١٣ شكلًا بشريًا، وحيوانيًا، وأسطوريًا من مختلف البلدان التي وجدت فيها هذه المصنوعات الصوانية في العالم، ١٧٦ شكلًا استُخدم في البحث السابق الذي تضمن ارتباط هذه الأشكال بتطور الفكر والعقيدة (المعمري: تحت الطبع٢)[٤]، وستستخدم في هذا البحث كذلك، إلى جانب ٣٧ شكلًا أضيفت إليها من أمريكا (ل٦)، و١٤ شكلًا إيضاحيًا من مصر (ل٦) ذُكرت في البحث السابق بالعدد دون هذه الأشكال[٥]، وعلى الرغم من أن مجموع الأشكال المقدّمة في هذا البحث من أمريكا تبلغ ٦٨ شكلًا (ل٦)، لكن عديدًا من الأشكال البشرية مكرَّر، وقد نشرها عديد من الباحثين، والوضع نفسه مع عديد من الأشكال التي استخدمت من روسيا الاتحادية، ويتضمن هذا البحث، إضافة إلى ذلك، أشكالًا بشرية كبيرة الحجم نسبيًا للمقارنة من الفخار، والحجر (ل٥، ٨، ٩)، وأخرى في الفن الصخري (ل٣: ٣٥– ٣٨، ل٥: ٢٢– ٢٣؛ ش٦)، ومعطيات أخرى (ل٨–٩).

ستسمّى هذه المصنوعات «أشكالًا ودُمى»، وستسمّى الدُّمى البشرية الأنثوية معبودات، والمفرد معبودة، وسيستخدم مفهوم (تُمَيْثيلات) للأشكال

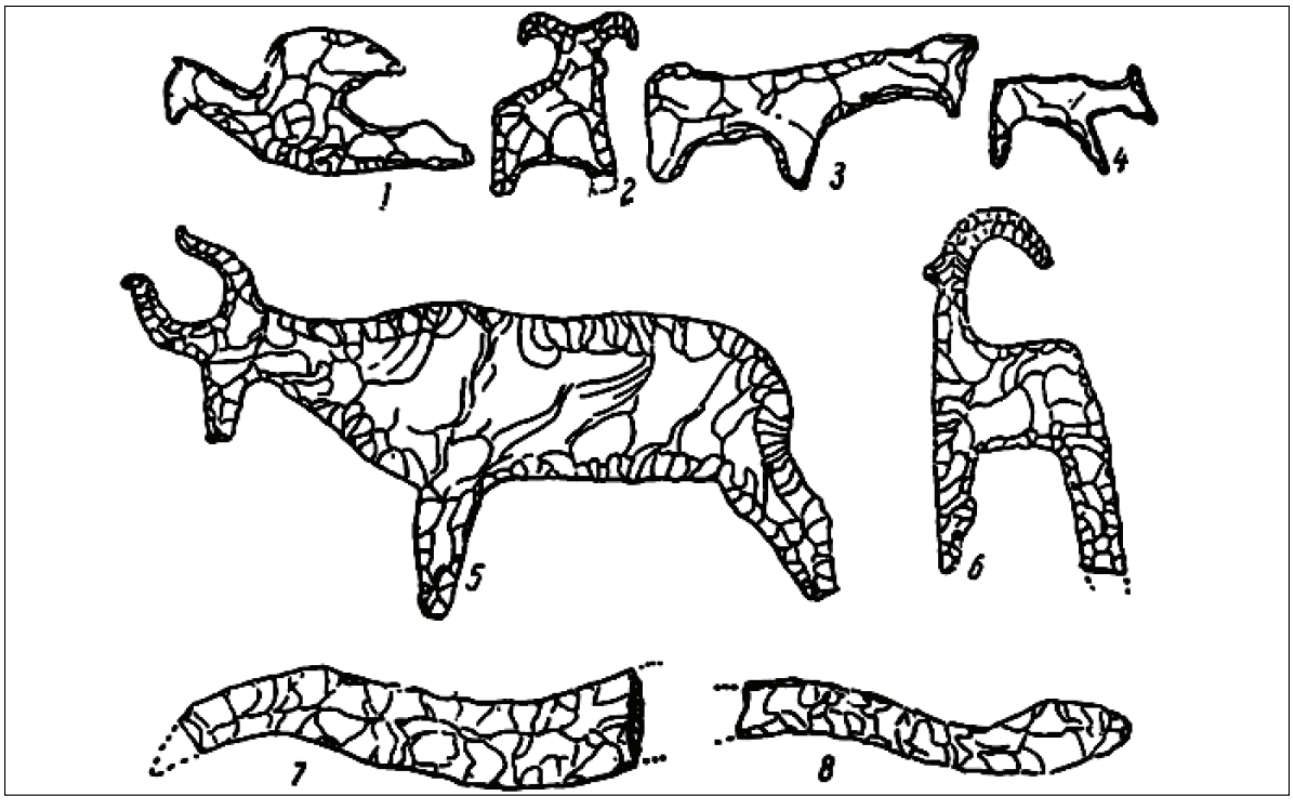

الشكل ٣: من مصر، عن (Zamyatnin 1948, Fig. 8)، **١- طير، ٢- ٦ حيوانات متنوعة، ٨ ثعبان، شبيه بالثعبان الذي وجد في روسيا الاتحادية في شكل١: ١٤، والشكل ٧ يبدو أنه لثعبان آخر، ٩- رأس ثور من النت: المتحف البريطاني. ولم ترد معلومات من مصر عن المنحوتات البشرية.**

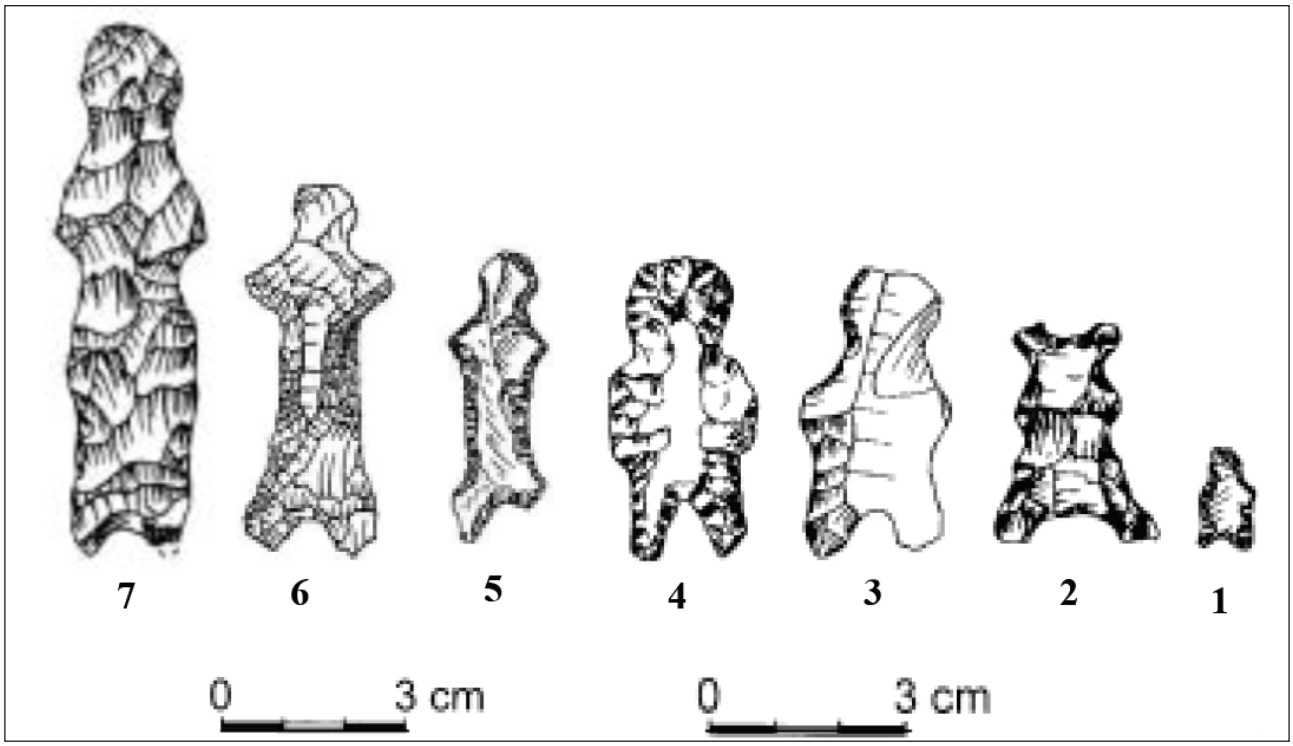

الشكل ٤: ٧ دمى وجدت في مدافن للأموات عن (Kashina 2002)**: ١، ٢، ٣، ٤، ٥** (Utkin & Kostyleva 1996)**، ٦، ٧** (Zimina 1992)**. وبحسب تصنيفنا لها: ١- أنثى، ٢- أسطورية دب وإنسان، ١، ٣، ٥ - ٧ إناث، ٤ ذكر، عن** (Bader, Kosarev 1987: 162, fig.6: 11)**، جميعها مكررة في ل٤- أ.**

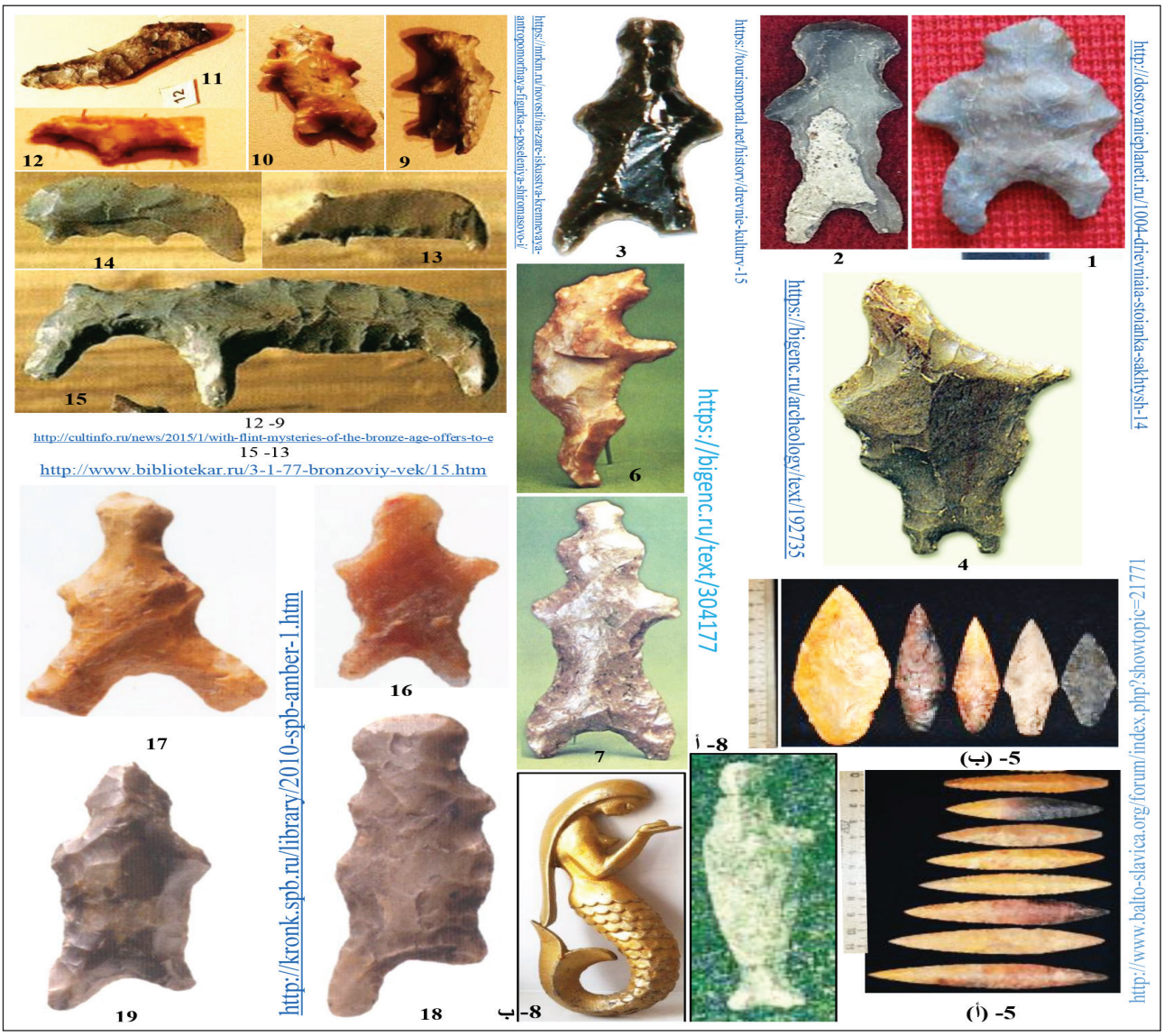

اللوحة ٢: منحوتات صوانية بشرية وحيوانية عقائدية من روسيا الاتحادية للمقارنة، ٣ من السبج، والباقي من الصوان. ١- موقع سَخْتِيْش ١٤ (Sakhtysh) جنوب نهر الفولغا (Utkin, Kostyleva 1996). ٢- ثقافة إمرْك، العصر الحجري الحديث، متحف موردوفيا، جمهورية موردوفيا. ٣- ثقافة تاري (Tarinskaya) (Tarin) كَمْتشَاتَكا في الشرق الأقصى، الحجري الحديث ٣٠٠٠- ٢٠٠٠ سنة ق.م. ٤- موقع فولُوسُوفُو (Volosovo)، ثقافة فولوسُوف (Volosovskaya)، ٣٠٠٠- ٢٠٠٠ سنة ق. م، الموسوعة الروسية الكبرى، ووردت مرسومة عند عدد من المؤلفين (Zamyatnin 1948: Fig: 3: 8). المنحوتتان ٦- ٧ نسبتا إلى دُبِّين، مع أنهما أسطوريتان (مركّبة) مع المنحوتة ٤ (بشرية مع تجسيد للدب) حسب تصنيفنا، ٦- ٧ ثقافة فولوسُوف، العصر الحجري الحديث ٣٠٠٠ سنة ق. م، الموسوعة الروسية الكبرى: رقم٦ وردت مرسومة عند (Repman 1957: Fig. 57: 1)، رقم٧ وردت بالرسم (Zamyatnin 1948: Fig. 4: 7) ووردتا عند آخرين (Maslov 1913). ٨- سمكة عن (Maslov 1913) أسطورية بتصنيفنا لما صار يُعرف حورية البحر (Mermaid). ٩- ١٢ عن معرض للمنحوتات الحجرية أقيم في متحف محمية فُولُوغْدَا بمنطقة فُولُوغْدَا الواقعة شمال شرقي مدينة موسكو بنحو ٦٥كم (Vologda Museum-Reserve) في عام ٢٠١٥م تحت اسم "أسرار الصون" في الحجري النحاسي (Eneolithic) للكبار والصغار وطلاب المدارس (أتينا بها للمقارنة وكنموذج للاستفادة في خدمة المجتمع وربط الناس بإرثهم لمعرفته والمحافظة عليه)، ١٣-١٥ نماذج من منحوتات الصوان لحيوانات: ١٤، ١٥ وردتا مرسومتين عند (Zamyatnin 1948: Fig: 4: 3, 4)، ووردتا هذه الأشكال نفسها مع شكل١٣ وأخرى غيرها عند (Bader, Kosarev 1987)، وجميعها ١٣- ١٩ من مقتنيات في الأرميتاج، ونعتقد أن ١٦- ١٧ لذكَرين. المنحوتة ١٨ وردت بالرسم عند (Zamyatnin 1948: Fig. 2: 5) ونعتقد أنها لأنثى حاملة (الآلهة الأم). المنحوتة ١٩ بشرية لكن يصعب تحديد جنسها (قد تكون مؤنثة). ٥- رؤوس حادة أتينا بها للتعريف بأدوات ثقافة فولوسوفو. وبحسب تصنيفنا: عدد الذكور ٥، هي: ١-٣، ١٦- ١٧، الإناث اثنتان ١٨- ١٩، الأشكال الأسطورية ٣ وهي: ٤، ٦، ٧. الحيوان ٨ أشكال، وهي: ٨، ٩- ١٥.

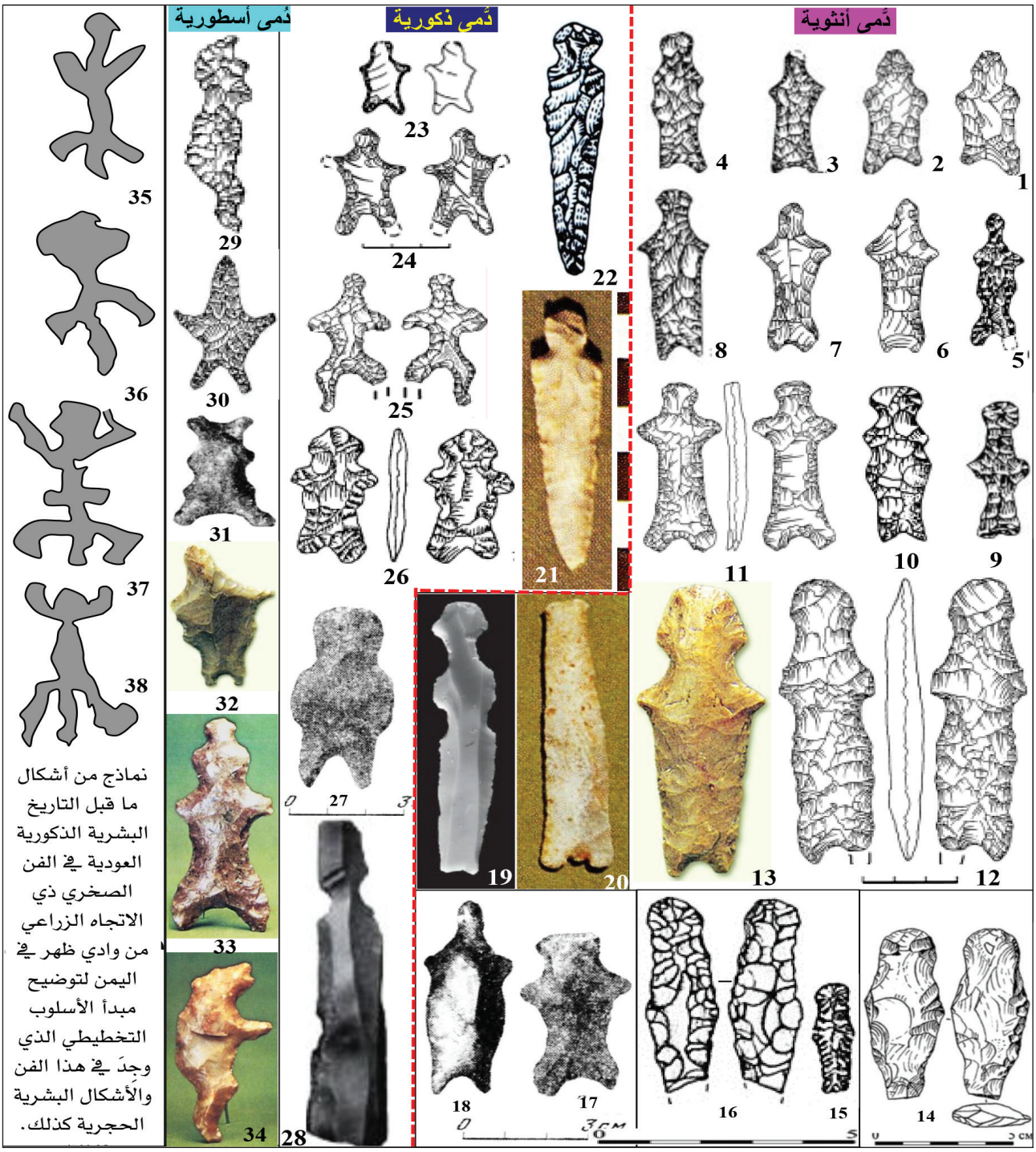

اللوحة ٣: تصنيف الباحث لهذه الأشكال بحسب النوع، والجنس (Gender): أشكال آدمية، وأسطورية. ١، ٢، ٦، ٧، ١١ إضافة إلى ٢٤- ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣٤ عن (Kashina 2005)، الأشكال ٣، ٤، ٥، ٨، ٩، ١٣، ٣٢ عن (Zamyatnin 1948: fig: 2: 3, 4, 5, 8, 26)، الشكلان ١٠، ١٢ عن (Zimina 1992)، ١٤- ١٦ عن (Brodyansky 2007)، ١٧، ١٨، ٢٧، ٣١ عن (Bader, Kosarev 1987: 162, fig. 6: 9, 10, 12). (جميع هذه الأشكال وردت عند Kashina كذلك، والأشكال في الصور الفوتوغرافية موجودة على أكثر من موقع على الشبكة العنكبوتية والموسوعة الكبرى الروسية. ٢٠- ٢١ من الثمامة عن (أبو درك وآخرون ١٩٨٤)، الشكل ٢٠ مؤنث، والشكل ٢١ مذكر من المحتمل، ٢٢ من الخماسين عن (Zarins et. al., 1979)، مذكر كما نعتقد، ١٩، ٢٨ من خريصان عن (Borrell et. al., 2019). عدد الأشكال من روسيا الاتحادية ٢٩ شكلًا: ١- ١٨ أشكال نسوية، منها ٨ أشكال مكررة في ل ٤- أ، هي: الأشكال ٤، ١٠، ١١، ١٢- ١٤، ١٧- ١٨ احتسبناها جميعا ضمن العدد الكلي للإناث. عدد الذكور ٥ أشكال: ٢٣- ٢٧ غير مكررة. عدد الأشكال المركبة ٦ أشكال جميعها مكررة في لوحات أخرى ما عدا شكل ٣١، أضف إلى ذلك أن الشكلين ١، ٢ كأنهما رسمان لدمية أنثوية واحدة من الجهتين الخلفية والأمامية، ومتشابهتان مع الشكل ١٩ في لوحة ٢.

الفخارية المتوسطة الحجم (ل٥: ١٧- ٢١، ل٨: ٣، ٧-٩) والمفردَ (تُميثيل) (تصغير تمثال)، وتمثال للأشكال الكبيرة الحجم نسبيًا (ل٨: ٤)، أمَّا الدُّمى الأنثوية التي وجدت في العصر الحجري القديم الأعلى التي تسمّى فينوس (Venus) فنسميها (غانية) وجمعها (غانيات) و(غوانٍ)، أو (زُهرة)، وجمعها (زُهرات) أو بالتصغير (زُهيرة) للمفرد، و(زُهيرات) للجمع، ليحل أحد هذين المفهومين محل مصطلح فينوس الأجنبي[٦]. أضف إلى ذلك، سيستخدم مفهوم المعبود الذكوري، و(المعبود الأبوي)، و(الإله الأب) (ل٨: ٤- ٧، ٩- ١٠)، ومصطلحَيّ الأمومة، والأبوية، ومفهوم عضو التذكير للقضيب الذكوري (ل٥: ٢٨-٢٩، ٣١- ٣٢، ل٩: ١-٢)، وذَكَر للذكر نفسه (ل٥: ٢٣، ٢٤، ٢٧). أمّا الأحرف التي ذيّلت بها الأشكال الإيضاحية في هذا البحث فهي: (ل) لوحة، و(ش) شكل، و(ج) جدول.

تقنية دُمى الصوان وتصنيفها بحسب النوع

ستقسّم جميع هذه الأشكال إلى خمس مجموعات: ١- بشرية (ل١)، ٢- حيوانية (ل٢: ٩- ١٥، ش١، ٢، ٣)، ٣- أسطورية أو (مرَّكبة/ مجسّدة)، وهي بشرية مع حيوانية في الغالب (ل٣: ٢٩- ٣٤)، ٤- خرافية، وتعني ما زاد على ذلك، وصعب فهمه، وتفسيره (ل٦: ٣٢، ٣٣)، مع أن التمييز بين الأشكال الخرافية، والأسطورية مجازي إلى حد كبير، ٥- أشكال مبهمة (غير محددة). هذه الدُّمى التي يقصدها هذا البحث قامت صناعتها على أسس تقنية مختلفة عن تقنية المصنوعات الأخرى الفنية بأكملها، فهي تتألف من طورين أو (مرحلتين): تفليق (Knapping) المؤن الحجرية (Blanks) من النواة (Core) التي تُعدُّ المادة الأساسية لتجهيز هذه الدُّمى، وهي الفلق (Spalls) الحجرية، والمرحلة الأخرى تشكيل (تحويل) هذه الفلق إلى الأشكال المطلوبة آنفة الذكر، من خلال عملية التهذيب (Retouch)، مثلها في ذلك مثل تقنية صناعة الأدوات الحجرية، وهي الخاصية الرئيسة التي تتفرد بها هذه الدُّمى عن غيرها، والخاصية الثانية أنها صغيرة الحجم كما سلف، ومجهّزة من خام الصوان غالبًا، وفي بعض الحالات تصادف أشكالًا مصنوعة من خامات أخرى أكثرها من الأوبسديان (السبج) (ل٢: ٣)، خاصة في أمريكا (ل٦)، الخاصية الثالثة أن هذه الدُّمى مخصصة لأفكار عقائدية كما سيوضِّح هذا البحث، والخاصية الرابعة أن صناعتها لا تحتاج إلى مهارة عالية كالتماثيل، والأشكال الأخرى الفنية (ل٥)، والخاصية الخامسة والأخيرة أن تقاليد صناعتها انتقلت إليها من تقنية صناعة الأدوات الحجرية في العصور الحجرية (ل١ د: ١، ل٢: ٥).

دُمى الصوان البشرية في العالم

تُعدُّ دُمى الصوان المجهّزة بالطريقة التقنية سالفة الذكر نادرة المواقع والعدد في العالم من حيث المبدأ، مقارنة بالمواقع الحجرية ومصنوعاتها، فقد عرفت أعداد قليلة منها في كل من أوروبا الشرقية (منطقة الغابات الروسية)، وسيبيريا، والشرق الأقصى (ل٢؛ ل٣: ١- ١٨، ٢٣- ٢٧؛ ل٤- أ؛ ٤ب: ٤؛ ش١- ٢، ٤)، إضافة إلى الأسكا، وكندا (Murdoch 1892)، وأمريكا (ل٦)، أكثرها في المكسيك، والهندوراس، وغواتيمالا، وباتاغونيا (Elvinas 1936) (Braunhotiz 1936) (Patagonia) خاصة في المناطق لتي وجدت فيها مواقع حضارة المايا (Joyce 1932)، وهي مصنوعة في أمريكا من السَّبج في الغالب (ل٦)، ومجموعة من الصوان في مصر (ل٧، ش٣) (Zamyatnin 1948)، وذُكر أن هذا النوع من الدُّمى وجد في السويد، والبلقان، لكن ما وجدناه منها في السويد كان من العظام، والخشب، وفي البلقان من الخشب والفخار (Bailey 2000, 2005, Sarris et al 2017)، وإلى جانب هذه البلدان التي وجدت فيها دُمى الصوان نضيف الشام، من خلال ٢٢ دمية وجدت في موقع خريصان في الأردن، إضافة إلى الجزيرة العربية من خلال ٢٥ دمية وجدت في الثُّمامة في الرياض، ودمية وحيدة محتملة في الخُماسين، بحسب التصنيف في هذا البحث.

انتشرت هذه الدُّمى في روسيا الاتحادية، وأمريكا مقارنة بغيرهما؛ بسبب مساحتهما الواسعة، إضافة إلى أن هذه الدُّمى في أمريكا ترجع إلى القرون الميلادية

ل4- ب: 1- 3، 5- 7 من خريصان صنِّفت شطائر ذات فتحات (Borrell et. al. (2019، وبتصنيف الباحث دُمى أنثوية وإليها أضفنا الشروحات لتقاسيم الجسم التشريحية بحسب رؤيتنا، 5- من خريصان صنِّفت شطيرة ذات فتحات (Ibáñez et. al., 2016)، 4-من موقع فولوسوفو في روسيا صنِّفت كائن أسطوري (Zamyatnin 1948: Fig. 10)، وبحسب تصنيفنا لها دُمية لأنثى حاملة (المعبودة الأم)، 1-3 دُمى لإناث حاملات (المعبودة الأم) بحسب تصنيفنا لها هي الأخرى، لابسات ملابساً فضفاضة (شكل2 رسم لصورة1)، 5- أنثى بلباس طويل كأنها ناسكة، 8- 9 دُميتان أنثويتان من الثمامة للإلهة الأم،10- شكل كأنه دُمية لذكر متوفًّى لُفَّ برداء شبيه بالكفن؟، من الثُّمامة، نظيره من الخُماسين ل3: 22، (التفاصيل في المتن).

اللوحة ٤ – أ: تصنيفُ الباحث بحسب الجنس (Gender): أشكال آدمية، وأسطورية: ١-٣٣ نقلاً عن (Kashina 2002) قبل تصنيفها في هذا البحث، و(كاشينا) نقلتها عن آخرين. ٣٤- نقلاً عن (Brodyansky 2007)، وهي مؤنثة (المعبودة الأم) شبيهة بالدميتين الأنثويتين الخشبيتين للأم رقم ٣٥ (منتشرة في الثقافة الروسية المعاصرة باسم أميمة)، أتينا بهما للمقارنة، ولتوضيح منزلة الأم (المعبودة الأم) وإثبات استمراريتها مما قبل التاريخ إلى اليوم. عدد الإناث: ٢٢ دمية، بعض هذه الدُّمى مكررة في لوحات أخرى بهدفها توضيحها بحجم أكبر مما هي عليه في هذه اللوحة منها ٧ دُمى: ٢، ١٠، ١١، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٣٤ مكررة في ل٣. عدد الدُّمى الذكورية ٧ دمى، منها الدُّمية رقم ١٥ مكررة في ل٢. عدد الدُّمى الأسطورية ٥ دُمى، منها ٤ دمى مكررة: الدُّمية ٢٢ مكررة في ل٣، والدُّمية ٣٣ مكررة في ل٢، ول٣، والدُّمية ٣٢ مكررة في ل٣، والدُّمية ٢٦ مكررة في شكل٤. ٥ دُمى أسطورية مكررة في لوحات أخرى ما عدا دمية رقم ٩ غير مكررة.

اللوحة ٥: مكانة الدُمى الصوانية المعبّرة عن المعبودات في الترتيب المرحلي والفكر العقائدي فيما قبل التاريخ ٦- ١٦ نماذج منها. ١- ٥ من غانيات (Venus) الحجري القديم الأعلى: ١- موراڤيا Moravia، ٢٢٨٠٠ ق. م (تشيك/ تشيخيا)، ٢- Willendoref ٢٥ ألف سنة ق. ح (ألمانيا)، ٣- La Poire ٢٥ ألف سنة ق. م. (فرنسا)، ٤-Kostenki ٢٥- ٣٥ ألف سنة ق. ح، ٥- سيبيريا (روسيا الاتحادية). ٦- عين صخري في فلسطين العصر الحجري الوسيط لرجل وامرأة في علاقة حميمة ١١ ألف سنة. ٧- أنثيان من الثمامة ٥- ٦ ألف سنة ق. م. ٨- ١٢- دمى أنثوية بشرية من روسيا الاتحادية، ٢٠٠٠- ٣٠٠٠ سنة ق. م (الحجري الحديث والبرونزي). ١٣- ١٦ دمى أنثوية بشرية من خريصان في الأردن (١٦ الأم الكبرى) ٨- ١٠ ألف سنة ق. م، الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) و(ب). ١٧- ٢١ معبودات فخارية، الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب): ١٧-أ أمٌ حاضنة طفلها ٤٨٠٠- ٤٥٠٠٠ ق.م Sesklo (اليونان)، ١٧- ب - معبودة من Chaeronea (اليونان)، ١٨- معبودة من Yalangach-Depe، ٤٠٠٠ ق. م (تركمانستان)، ١٩- معبودة من ثقافة حَلَف: سوريا والعراق ٦٠٠- ٥١٠٠ ق.م متحف اللوفر، ٢٠- معبودة من تابيه سراب ٧٠٠٠- ٦٠٠٠ سنة ق. م (كرمنشاه)، ٢١- الأم الكبرى من كاتل (شاتل) هيوك Catal Huyuk، ٥٨٠٠ ق. م الأناضول. ٢٢-أ رجل يجامع امرأة من djanet jabbaren الجزائر، الحجري الحديث، ٢٢-ب رجل أسطوري يجامع امرأة ٥٠٠٠ ق. م من Tin Lalan ليبيا، ٢٣: نموذج من الفن الصخري لصياد بعضو تذكير منتصب: الشويمس، جبة ٧٠٠٠- ٨٠٠٠ ق. م. ٢٤- رجل Thessaly "مفكّر" من الطين (اليونان) ٤٥٠٠-٣٣٠٠ BC، ٢٥- ذكر وأنثى يحتضن بعضهما البعض، الحجر الحديث، ثقافة Hongshan ٦٠٠٠- ٥٠٠٠ ق. ح (الصين)، ٢٦-ذكر وأنثى يحتضنان ويقبلان بعضهما البعض من الفخار ٣٢٠٠ ق. م Tarxien مالطا، ٢٧- «ذكر يفكّر» ثقافة Hamangia، ٤٠٠٠- - ٥٠٠٠سنة ق. م، من الفخار، رومانيا، ٢٨- عضو تذكير (Phallus) من حجر الكلس ٦٠٠٠ سنة ق. ح (الحجري النحاسي) من (Ahihud) فلسطين، ٢٩- رجل على هيئة عضو الذَكر (Phallus) من خولان في اليمن ٣٠٠٠ سنة ق. م العصر البرونزي، ٣٠ نصب حجري، ٣١-٣٢ عضوي تذكير من العصر الحجري القديم الأعلى من فرنسا (الإحالات والتفاصيل في المتن).

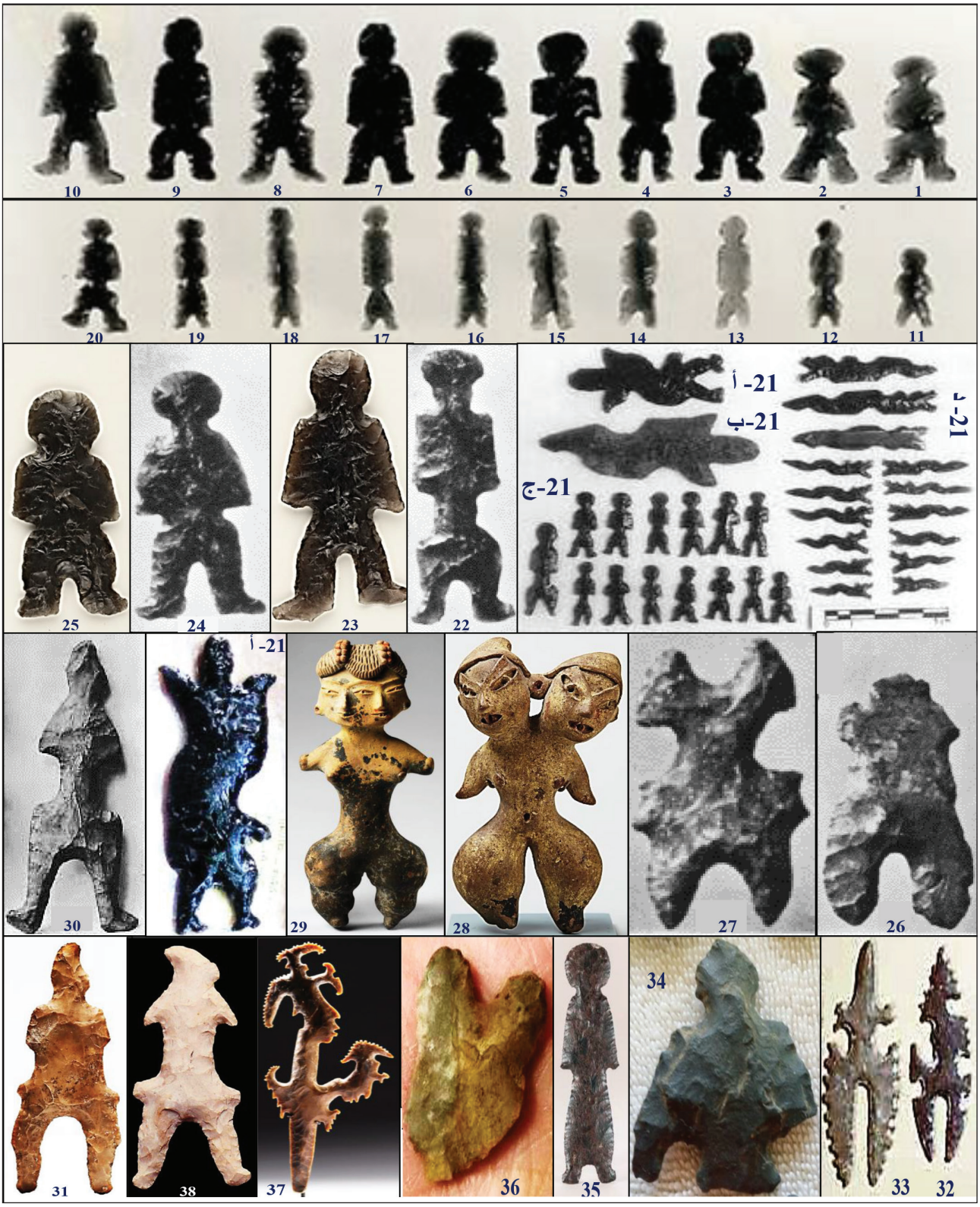

اللوحة ٦: ١- ٢٠، ٢٢- ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٢١: أ، ج دمى بشرية ذكورية، وظيفتها تختلف عن وظائف دُمى ما قبل التاريخ في القارات القديمة، ٣٥- دمية بشرية أنثوية، ٣٦- دميتان بشريتان ملتصقتان مع بعضهما، ٢٨- ٢٩ دميتان فخاريتان متأخرتان للمقارنة بالشكل السيامي٢٧. ٣٤- طير أو طير برأس إنسان (اسطوري)، ٣٣- شبه أدمي تخطيطي، ٣٢، ٣٧ خُرافيان بأسس بشرية. ٢١ د ثعابين. ٢١- أ الشكل الوحيد أظْهِر فيه عضو التذكير (الإحالات والتفاصيل في المتن).

الأولى في الغالب. تعد ثقافة فولوسوفو (Volosovo/ Volosockaya) في منطقة الغابات الروسية أغنى المناطق التي وجِدت فيها هذه الدُّمى في روسيا الاتحادية بشكل متنوع: بشرية، وحيوانية، وأسطورية. هذه الثقافة تعود إلى الفترة الممتدة بين ٤٠٠٠، وبداية ٢٠٠٠ سنة ق.م.، وانتشرت في أواسط روسيا، ولم يُعرف من أين أتت إليها. أضف إلى ذلك أنها انقرضت مع نهاية ٣٠٠٠ وبداية ٢٠٠٠ سنة ق. م بصورة غامضة، وحلَّت محلها ثقافة أخرى (Utkin, Kostyleva 2006) كانت قائمة على الصيد والجمع، وأدواتها تجهز من شظايا تنتزع من النواة بالطرق التقنية الخاصة بذلك، وتهذَّب بالتهذيب المزدوج (ل٢: ٥)، وهي المبادئ التقنية الرئيسة التي وجدت في عدد كثير من ثقافات العصر الحجري الحديث في روسيا الاتحادية نفسها، ومناطق أخرى من العالم، بما في ذلك الجزيرة العربية منذ العصر الحجري القديم إلى نهاية ما قبل التاريخ. عدد محدود من هذه الدُّمى عثر عليها في مدافن للأموات في روسيا الاتحادية (ش٤)، وآخر في أمريكا (ل٦)، وباقي هذه الدُّمى عثر عليها خارج هذه الطبقات الأثرية. هناك دُمى قليلة العدد من هذا النوع قد تعود إلى ٤٠٠٠- ٥٠٠٠ سنة ق. م.، إضافة إلى دمية وحيدة أعيدت إلى العصر الحجري الوسيط بتاريخ افتراضي بين ١٠,٠٣٠- ٨٢٠٠ ق. ح (ل٢: ١)، لكن شكلها لا يوحي بذلك القدم البتة. أضف إلى ذلك أن هذا التاريخ لم يجرِ تأكيده في المصادر الأخرى التي تناولت هذه الدُّمية نفسها (Kashina 2002: fig. 2: 15, Kashina 2005: pp: 143, fig. 41)، وهي كثيرة (Utkin, Kostyleva, 1996). فتاريخ هذه الدُّمى الحجرية بشكل عام في روسيا الاتحادية تعود إلى ما بين ٣٠٠٠- ٢٠٠٠ سنة ق. م. في أغلب المصادر التي تناولتها (Oshibkina et. al., 1992) إن لم تكن في جميعها، وهي تُمثِّل بيئات مختلفة: السهول الروسية الغربية (Zimina 1992)، والغابات (Orchibkina et. al., 1994, Studzitskaya 1985)، ومناطق الأنهار (Studzitskaya, 1971, 1994) (Oka)، وأماكن أخرى (Zamyatnin 1948, Krainov et. al., Kashina 2005)، بما في ذلك سيبيريا والشرق الأقصى، مثل مواقع ثقافة تريان (Tarin) أو (تارينسكايا) (Tarinskaya) في كَمْتشَاتَكا في أقصى الشرق (ل٢: ٣)، وبيلّومورسكايا (Belomorckya)، أو (بيلومور) (Belomor) في الشمال، مع أن هذه الدُّمى في هذه المواقع قليلة العدد إلى حد كبير.

هذه الدُّمى بدأ تسجيلها منذ القرن ١٩ الميلادي (Maslov 1913)، ليس في روسيا وحدها، بل في كندا والأسكا ومصر، لكن دراستها في روسيا الاتحادية بدأت من القرن نفسه آنف الذكر، حتى إن بعض المؤلفات غير الأثرية صارت تذكرها لغرابتها (Leontyev, Leontyeva 2007: 73- 76). هذه الدُّمى عُرضت أول مرة في معرض الأنثروبولوجيا (Anthropological Exhibition) الأول في روسيا الذي عُقد في عام ١٨٧٩م في مدينة موسكو، وحين شاهدها رواد الآثار الفرنسيون آنذاك الذين حضروا هذا المعرض صرَّحوا أن هذه الدُّمى من صنع الإنسان المعاصر، وليس من صنع الإنسان القديم (Zamyatnin 1948: 85- 85)، وهي حالة من الشك اتسم بها هؤلاء الروّاد آنذاك، إلى درجة إصرارهم الشديد على أنّ الفن الصخري الذي اكتُشف في كهف الطاميرا في إسبانيا في عام ١٨٦٨م رُسم من قبل أحد الفنانين المعاصرين الذي زار مكتشف هذا الكهف في الفترة نفسها، وليس من قبل إنسان العصر الحجري القديم الأعلى كما عليه في واقع الأمر..إلخ. وبشكل عام فإن هذه الدُّمى رغم قلّة عددها في العالم لا يوجد لها أحصاء دقيق، بما في ذلك في روسيا الاتحادية نفسها[٧]، على الرغم من أنها دُرست بشكل واسع منذ القرن ١٩م، وما زالت دراستها مستمرة إلى اليوم (Kashina 2005)، بما في ذلك رسائل دكتوراه مقارنة بالمناطق الأخرى.

تصنيف دُمى الصوان البشرية في روسيا الاتحادية بحسب الجنس

صنِّفت دُمى الصوان في روسيا الاتحادية بأكثر من

تصنيف[٨]، لكنها لم تصنَّف بحسب الجنس (Gender)، سواء في روسيا الاتحادية أم في البلدان الأخرى التي وجدت فيها هذه الدُّمى لعدم وجود علامات التذكير والتأنيث المباشرة فيها. هناك دراسات قليلة حاولت تحديد نوع الجنس في دُمى غير دُمى الصوان (Mina 2013)، منها دراسة لثقافة ينجْشو (Yangshao) في الصين، لكنها رأت أن هناك صعوبة كبيرة في هذا الأمر، وفي تحديد العلاقة بين الجنسين لأسباب كثيرة (Chen 2014). أمّا تصنيفنا لهذه الدُّمَى في روسيا الاتحادية بحسب الجنس من خلال ٨٤ نموذجًا فقد أسفر عن الآتي: ٥٢ دمية بشرية، و٧ دُمى مركبة (أسطورية) (ل٢: ٤، ٥، ٧، ل٣: ٢٩، ٣١)، و٢٥ دمية حيوانية، بينها أسماك، وزواحف، وطيور (ش١- ٢؛ ل٢: ٨، ٩- ١٥). وقد بلغ عدد الدُّمى البشرية الذكورية ١٦ دُمية (ل٢: ١- ٣، ١٦- ١٧؛ ل٣: ٢٣- ٢٧؛ ل٤: ٧، ١٢، ١٥، ١٦، ٢٩، ٣١)، بعضها قد يكون مؤنثًا (ل٤: ١٠)، أما عدد الدُّمى الأنثوية فبلغ ٣٦ دمية (ل٢: ١٨- ١٩؛ ل٣: ١- ١٨، ل٤-أ، ٤-ب: ٤)، (ج١)، أغلب هذه الدُّمى البشرية تبدو كأنها بملابس طويلة (ل٣: ١- ١٨)، بينها دُمى أنثوية حاملات لأجنّتها تمثل الإلهة الأم الكبرى بشكل واضح (ل٣: ١٨؛ ل٤ب: ٤)، وبعضها متهيئات للتخصيب (ل٣: ٤، ١٠)، وقد تكون حاملات، وأخرى يمثّلْنَ الرشاقة، والجمال (ل٣: ١- ٣، ٥- ٩، ١١- ١٣). الجدير ذكره أنَّ هناك ثلاث دُمَى وجدناها شائقة للغاية (ل٣: ١٤- ١٦)، فهي تتطابق مع الدُّمى الأنثوية التي تُصنع من الخشب في الثقافة الروسية المعاصرة، المسمّاة باللغة العربية (أمَيْمَة)، وباللغة الروسية (مَاتُرُوشْكَا) (Matroshka) (ل٤: ٣٥)، مع أن بعض العامة من الروس يرى أن هذا التقليد أتى إليهم من الشرق الأقصى، لكن من خلال تصنيفنا لهذه الدُّمى بحسب الجنس ثبت بالدليل أنَّ هذا النوع وجد في روسيا الاتحادية نفسها ما بين ٣٠٠٠- ٢٠٠٠ سنة ق. م.، مع أنَّ ثقافة فُولوسُوفُو التي وجدت فيها هذه الأشكال الثلاثة أتت إلى روسيا من مكان آخر غير معروف كما سلف. أمّا الدُّمية الرابعة الأكثر عجبًا من سابقاتها فهي سمكة، لكنها سمكة أسطورية (ل٢: ٨- أ)، وليست سمكة اعتيادية بتصنيفنا. هذه السمكة البديعة مركَّبة أو (أسطورية)، جمعت بين سمات السمكة في الزعانف والجسد، وأنثى البشر بالرأس وبروز الصدر الذي يحاكي الثديين أو اليدين على الأرجح، إضافة إلى الجزء الأكبر من الجسد مِمَّا يلي الزعانف. فهي من النوع الذي صار يعرف عروس البحر أو (حورية البحر) (Mermaid)، أو رُوسَّالْكَا (Rusalka) باللغة الروسية (ل٢: ٨-ب) الذي يُعدُّ هذا الاسم أكثر انتشارًا وشهرة في اللغات الأجنبية بسبب القصص والحكايات الروسية عنها. ويبدو أن هذا المضمون كان قد وجد في تلك الفترة فيما قبل التاريخ، ورافقته حكايات وأساطير شائقة ليس في سواحل البحر الأبيض الشمالي في روسيا الاتحادية وحده، بل وسواحل بحارٍ أخرى في الشرق القديم، وإنَّ حكايات عروس البحرِ المعاصرة جرى توارثها منذ ما قبل التاريخ.

بعد أنْ صنَّفنا هذه الدُّمى بحسب الجنس قسّمنا الدمى الأنثوية البشرية إلى ستة أنواع: أ- النوع الأول يتميز بما يلي: ١- سعة الصدر نسبيًا مقارنة بباقي أجزاء الجسم. ٢- كتفان بارزان يشيران إلى اليدين ضمنيا، وإلى الثديين. هذان البروزان في عدد كبير منها بالقدر الذي يشيران للثديين، فإنهما بالقدر نفسه يشيران إلى اليدين (ل٢: ١٨، ١٩؛ ل٣: ١- ١٤، ١٧، ١٨). ٣- فتحة مقوّسة في الطرف الأسفل تنتهي ببروزين قصيرين، في أسفلها يشيران إلى القدمين، ويشيران إلى أن الأنثى كأنها تلبس لباسًا طويلًا من العنق إلى بداية هذه الفتحة المقوّسة (ل٣: ١- ١٣، ١٨)؛ ٤- جسد طويل نسبيًا متناسق من أسفل الكتفين إلى بداية القدمين (ل٣: ١- ١٣)، مقارنة بأغلبية الدُّمى الذكورية (ل٣: ٢٣- ٢٧)، وهذا النوع من الدمى هو السائد غالبًا (ل٣: ١- ٣، ٦، ٧، ٨، ١١، ١٣). ٤- تقوّس انسيابي يؤكد الأنوثة، مقارنة بالذكورة، يمتد من أسفل الكتفين إلى القدمين، هذا التقوس يضيق أكثر في المنطقة الوسطى في بعض هذه الدُّمى لتأكيد الخصر

الضيق (ل٣: ١٢)، وفي عدد آخر تضيق هذه المنطقة أكثر (ل٣: ٩). ب – النوع الثاني: يتميز بجميع السمات السابقة، باستثناء أن المنطقة الوسطى فيه عريضة الشكل قليلًا، كأنها تشير إلى سعة الحوض والأرداف (ل٣: ٤، ٥، ١٠، ١٢) مقارنة بدمى النوع الأول، بينها دمية أكثر جمالًا، يدل قوامها وأقدامها على أنها تسير إلى الأمام بخطى هادئة ومتناسقة، إضافة إلى خصر نحيل، وأرداف معتدلة، وعنق طويل، ورأس بهامة منتصبة إلى الأعلى، ترتدي ملبسًا طويلًا (ل٣: ٥). ج– النوع الثالث: يتميز، إضافة إلى ما سلف ذكره، برأس شبه مربع، ورجلين بارزتين قصيرتين متباعدتين عن بعضهما بعضًا، مقارنة بالنوعين السابقين، وقامة قصيرة عريضة الشكل نسبيًا، وبدن مقوس إلى الدخل من الجانبين (ل٣: ١٧)، مع أن هذه الدُّمية الموصوفة قد تكون أسطورية (مركبة) رِجْلاها، وحوضها شبيهان بحوض الـدُّب عند انتصابه على قدميه، أمـا باقي الجسد فكأنه لأنثى بشرية بسبب تقوس بدنها إلى الداخل من الجانبين، وقد تكون ذكورية في الوقت نفسه. فهي من حيث الشكل المركّب أو (الأسطوري) شبيهة بدُمَى أخرى (ل٢: ٤، ٧). د– النوع الرابع: يتميز بوجود انتفاخين على جانبي البدن، خاصة عند تشكيل الأنثى من الجهة الخلفية للشظية الحجرية التي جُهِّزت عليها هذه الدُّمى، وليس من جهتها الأمامية كما هو معتاد في أغلب هذه الدُّمى، إضافة إلى وجود بروزين طويلين نسبيًا في أسفل الدُّمية، يمثلان الرِّجْلين (ل٢: ١٨) بدلًا من البروزين القصيرين اللذين كانا يشيران إلى القدمين فقط في الأنواع السابقة (ل٣: ١– ١٣) (أي إن الفتحة السفلى في النوعين الأول والثاني صارت واسعة في هـذا الـنوع، ومـن خلالها ظهرت رجـلان، أو (ساقان) لهذا النوع، مع أن الانتفاخ الموجود على جانبي البدن قد يوحي أن هذه الأنثى حَاملة جنينها (ل٢: ١٨). هذا النوع يتشابه من حيث الانتفاخ وشكل الرأس مع الدميتين سالفتي الذكر (ل٣: ٤، ١٠)، لكنَّ هاتين الأخيرتين تشيران، على الأرجح، إلى الإخصاب أكثر من مظاهر الحمل. هـ – النوع الخامس: أسميناه مَاتُرُوشْكَا (أُمَيْمَة) (Matroshka) (ل٣: ١٤– ١٦؛ ل٤– أ: ٣٤)؛ لشبهه الكبير بالدُّمى المعاصرة المصنوعة من الخشب (ل٤–أ: ٣٥) التي تسمَّى باللغة الروسية بهذا الاسم أيضًا.

هذا النوع هو كتلة واحدة (جسد واحد)، لا يوجد فيه زوائد، يتسع هذا النوع في المنطقة الوسطى التي تمثل منطقتي البطن والصدر، وتضيق هذا السعة قليلًا في الجزء الأسفل الذي يمثل الطرفين السفليين، وفي المنطقة العليا التي تمثل الرقبة، ثم يأتي الرأس في الأعلى بشكل مقوَّس أو (مستدير الشكل). هذا النوع قد يأتي قصيرًا ممتلئًا (عريضًا) الشكل (ل٣: ١٤) أو بشكل طويل نسبيًا (ل٣: ١٦) أو صغير الحجم (ل٣: ١٥)، وهو النوع الوحيد بين الدُّمى الروسية البشرية الذي أشير إلى أنه قد يكون إناثًا (Brodyansky 2007) دون تأكيد أو شرح أو تفاصيل أكثر مما سلف ذكره. و– النوع السادس: وهو النوع الأخير في الدُّمى الأنثوية، لا يختلف كثيرًا عن دُمى النوع الأول، لكنه يُعدُّ من الإناث الحاملات أجنّتها (ل٣: ١٨؛ ل٤–ب: ٤)، كما يُعتقد، ويمثل الآلهة الأم الكبرى سابقة الذكر، ويتألف من دميتين. والجدير ذكره أنَّ إحداهما (ل٤–ب: ٤) وجدت في موقع (فولوسوفو) في وسط روسيا (Zamyatnin 1948: Fig. 10) كانـت قـد صنّفـت كـائـن أسـطـوري (Zamyatnin 1948: 104, fig. 3: 10)، وصنفناها في هذا البحث أنثى حاملة جنينها، وفـي الأشهر الأولـى من الحمل، بما في ذلك الدُّمية الأخرى سابقة الذكر (ل٣: ١٨). فالنحات جعل بطن هذه الدُّمية بارزة إلى الأمام مع فتحة غير عميقة في الجهة الخلفية لإظهار تقوس في هذه المنطقة من الظهر ليتناسب ذلك التقوس مع البطن البارزة إلى الأمام الحاملة للجنين، وفي الوقت نفسه فإن هذه الأنثى التي تمثلها هذه الدُّمية ترتدي لباسًا (ل٤– ب: ٤) يختلف عن الملابس الأخرى في الدمى الأنثوية آنفة الوصف، فهو يتكون من صدرية في الجزء العلوي من الجسم، هـذه الصدرية كأنها

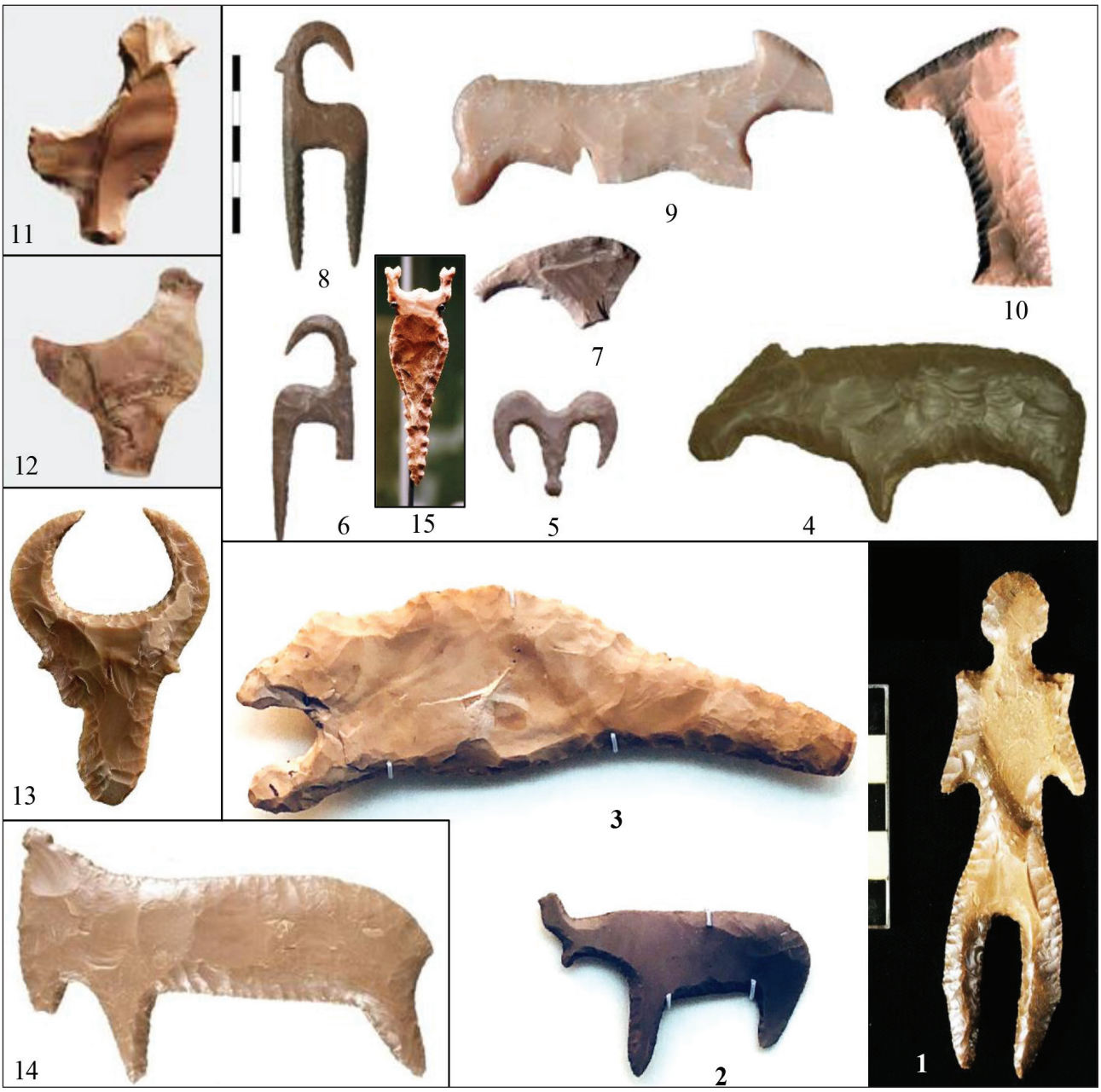

اللوحة ٧: ١- دمية مذكّرة سجلت داخل قبر في الجهة الشمالية الغربية على المستوى السطحي للتابوت ٤٧ لرجل قزم (Dwarf) في مقبرة (Cemetery) في هيراكونبوليس (Hierakonpolis) في مصر، أعتقد أنها تمثال لهذا القزم. عُثر في هذه المقبرة على رفات ٣٩ فردًا في ١٤ تابوتًا حتى الآن، أقلهم عمرًا ٨ سنوات، وأكبرهم ٣٥ سنة؛ باستثناء القزم عمره ٤٠ سنة، هذه التوابيت تحيط بقبر (تابوت) رئيس رقمه ١٦ يعتقد من وضعه أن صاحبه كان سيدًا لمن حوله في هذه التوابيت الأخرى في الحياة، ثلث هؤلاء المتوفّيين هم ما دون ١٥ سنة لشباب وشابات. ٥، ٨- عثر عليهما في التابوت ٢٣. ٢- ٣- من معبد أوزيريس (Osiris) في أبيدوس (Abydos)، ٩ من المنشأة 8E في الموقع HK6. ١، ٤، ٧- من الموقع Hk6، ٦- من المنشأة ٠٧ في الموقع Hk6. فجميعها من هيراكونبوليس بما في ذلك ١١- ١٤. كما عثر على العديد من العقارب في مقابر الموقع HK6. هذه الأشكال لم تدرس بدقة، لكن ما نستطيع قوله عنها أنها تعود إلى فترات متأخرة أقدمها لا يزيد عن نحو ٣٦٠٠ سنة ق.م.، أغلبها وجدت في مقابر. ١- دُمية بشرية ذكورية وحيدة التي عُرفت حتى الآن، والباقي لحيوانات: ثيران، وعول، وفرس النهر، وماعز، وطيور، وزواحف كالعقارب، والثعابين. وهناك شبه في بعض ما سُجّل في هذه الأشكال والأشكال التي وجدت في حضارة المايا في أمريكا، وكأن ذلك يشر إلى صلات بين الحضارتين، أو إلى أن الواقع الحضاري ينتج عادات وقوانين متشابه دون وجود اتصال حضاري مباشر (الإحالات والتفاصيل في المتن). http://www.hierakonpolis-online.org/index.php/explore-the-predynastic-cemeteries/hk6-elite-cemetery

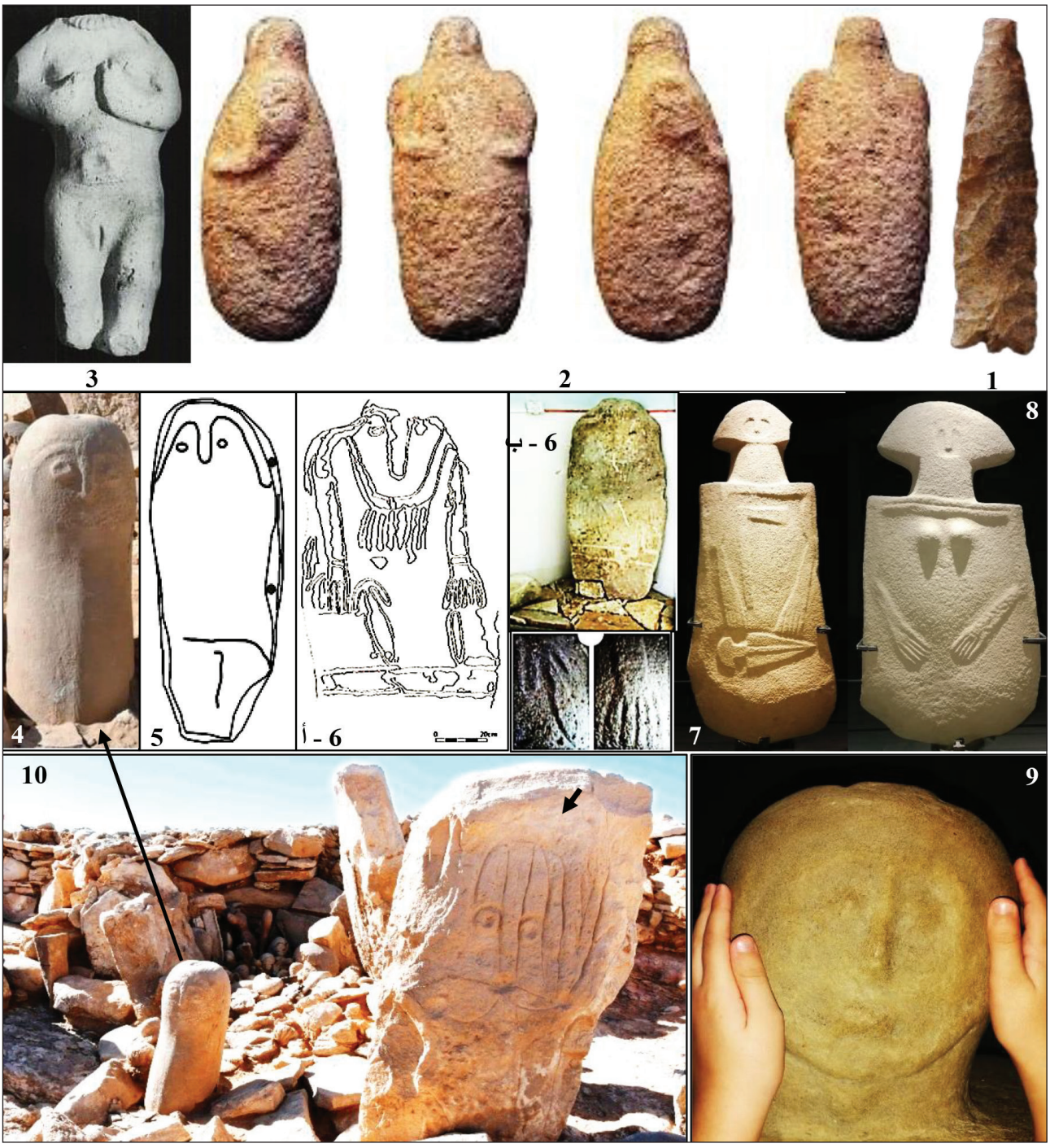

اللوحة ٨: ١- من الثُّمامة في الرياض، العصر الحجري الحديث، ٢- من وادي عِدم رَاوك في محافظة حضرموت (Steimer-Herbet et. al., 2007) أرخت بنهاية ٤ وبداية ٣ آلاف سنة ق. م (العصر البرونزي)، ٣- فخارية من الصنَيميات في دومة الجندل شمالي الجزيرة العربية (قزدر وآخرون ١٩٤٨) متزامنة مع الفترة الهلنستية. جميعها دمى أنثوية تجسد المعبودة الأم (المعبودة الأنثوية من حيث المبدأ).
٤- تمثال من بادية الشام ٩٠٠٠ سنة ق. ح يجسد الألوهية الذكورية (الإله الأب) في العصر الحجري الحديث المبكر بحسب تصنيف الباحث كذلك، ٥- ٦-أ، ٦- ب منحوتات ذكورية على نصب حجرية من رَاوك في وادي عِدم في محافظة حضرموت تجسد الإله الأب في العصر البرونزي، وتتشابه بشكل الوجه مع الشكل٤. ٧- ٩ من منطقة لونيغيانا (Lunigiana) الإيطالية، تؤرخ ما بين ٢٨٠٠- ٢٣٠٠ ق. م (Anati 1981)، ٧- يتشابه جزئيًا بسربلة اليدين ووجود الخنجر مع الشكل٦ في الجزيرة العربية، الشكل ٩ يتشابه جزئيًا مع شكل ٤ من حيث الشكل العام للوجه وبأنهما تمثالان منحوتان ويجسدان الإله الأب كذلك، ٨- تُميثيل أنثوي يدل على بقايا تأثير للمعبودة الأم في أوروبا في ظل وجود المعبود الذكوري. ٤، ١٠- عن https://universes.art/en/art-destinations/jordan/sebap.

لُبست فوق ملبس آخر (داخلي)، أمّا باقي اللباس الذي يغطي الجسد، فيمتد من الخصر إلى القدمين، وهو امتداد للباس العلوي الذي تغطيه الصدرية فيما يبدو لنا، وقد يكون شبيهًا بالبنطال، ويحتوي على عناصر زخرفية للزينة، ويعدُّ من الملابس غير الواسعة التي قد تدلّ على بيئة غير حارة. وتُعدُّ هذه الدُّمية من ذات المنظور الجانبي (Sideview) (ل٤- ب: ٤). أمّا الدُّمية الأخرى التي تعبّر عن حالة الحمل فقد صنعت من شطيرة حجرية، وليست من شظية، كما هو الحال في باقي الدُّمى في روسيا الاتحادية، البطن فيها بارزة إلى الأمام قليلًا (ل٣: ١٨)، إضافة إلى انتفاخين صغيرين على الجانبين، وهي من السمات الدالة على الحمل. وهذه الدُّمية تُعد الوحيدة التي لم تهذب بالتهذيب المزدوج لأنها صُنعت من شطيرة حجرية.

أمَّا شكل الرؤوس في هذه الدُّمى فغير ثابت بشكل عام، ويأتي على شكل قريب من حرف العين العربية المتوسطة[٩]، وبحجم كبير نسبيًا أحيانًا (ل٣: ٤، ٨، ٩، ١٠، ١٣؛ ل٢: ١٨، ٢٧)، وأحيانًا مستدير الشكل (ل٣: ٩)، ومقبب (مقوس) (ل٣: ١٢، ١٤)، وفي حالات أخرى يكون ذا هامة مقوّسة عريضة الشكل (شبيهة برأس الأفعى إن جاز لنا هذا التعبير)، بعض هذا النوع كبير الحجم نسبيًا (ل٣: ١٣)، وبعضه صغير الحجم (ل٣: ١، ٢)، وفي حالة أخرى يكون الرأس ممدودا إلى أعلى، وصغير الحجم (ل٣: ٧، ١٨)، بناءً على حجم الدُّمية نفسها، وقد تكون نهاية هذه الهامة حادة الطرف (ل٢: ١٩، ل٣: ٦)، وفي أخرى يأتي هذا الرأس على شكل مربع بدون هَامَة (ل٢: ١٨؛ ل٣: ١٧).

فيما يتعلق بالأشكال الذكورية وسط المجموعة الروسية، والأمريكية، والدُّمية المصرية البشرية الوحيدة (ل٧:١) يمكن القول إنها تتميز بوجود أطراف لها: أرجُل وأيادٍ، مقارنة بدمى الجزيرة العربية، والشام، وهذه الأيادي عبارة عن نتوءات قصيرة (ل٣: ٢٣-٢٦)، أو طويلة نسبيًا (ل٣: ٢٤، ٢٥)، وكذلك الأرجل، سواء كانت طويلة نسبيًا (ل٢: ١- ٣، ١٦-١٧)، أو قصيرة (ل٣: ٢٣، ٢٦) فإنها جميعًا تدل على وجود هذه الأطراف ضمنيًا. أضف إلى ذلك أنَّ هذه الأشكال تتميز بعدم وجود بروزات أو أشكال إضافية في الصدر تشير إلى الثديين، أو سمات أنثوية أخرى (ل٢: ٢-٣، ١٦، ١٧؛ ل٣: ٢٣-٢٧)، كما تتميز هذه الدمى بقصر المسافة الواقعة بين الخصر والكتفين غالبًا (ل٢: ١- ٣، ١٦-١٧؛ ل٣: ٢٣-٢٧)، إلى جانب خصائص أخرى مثل عدم التأكيد على ضيق الخصر (ل٣: ٢٣- ٢٤، ٢٦، ٢٧)، وتباعد الأرجل عن بعضهما بعضًا.

أما الدُّمية ٢٧ في اللوحة ٣ فإنها تتميز بكتفين ممدودتين إلى الأسفل كأنهما تشيران إلى سربلة اليدين، على الرغم من عدم وجود هاتين اليدين بصورة مباشرة، إضافة إلى سعة الصدر، أمّا الرأس فمربع الشكل، علاوة على أنَّ كلا الرِّجْلين فيها تنتهيان بطرف شبيه بأنياب الدّببة، كأنهما مستعارتان منها أو من أرجل هذا الحيوان (ل٣: ٢٧). فيما يتعلق بالدُّمى المركبة، أو الأسطورية فهي أشكال بشرية مع حيوانية في الغالب، منها على سبيل المثال، الدُّمى التي جُسِّد فيها الدُّب مع إنسان (ل٢: ٤، ٦، ٧). ولذلك، صنّفت هذه الأشكال في روسيا على أنها دببة، وهو تصنيف غير دقيق. ويبدو أن أغلب الدُّمى الأسطورية التي توجد في الجزء الأوسط من روسيا الاتحادية (الجزء الأوروبي)، وشمالي هذا البلد في الجزأين الآسيوي، والأوروبي رغم قلّة عددها تجسِّد الإنسان مع الدّب، لأهمية هذا الحيوان في الحياة الاقتصادية؛ فالجماعات البشرية ذات الصلة بهذه الدُّمى كانت تعيش على الصيد، وجمع القوت، ومنها في ثقافة فولوسوفو آنفة الذكر، كما أن تلك البيئة يوجد فيها هذا الحيوان بكثرة، علاوة على أهميته في النمط المعيش، من خلال استخدام لحمه، وشحمه، وعظمه، وجلده، وصوفه في كثير من مناحي الحياة. هذه الخصائص التصنيفية التي استُخلِصَت من النماذج سالفة الذكر صارت دليلًا مساعدًا في تصنيف النماذج الأخرى التي قدّمت في هذا البحث.

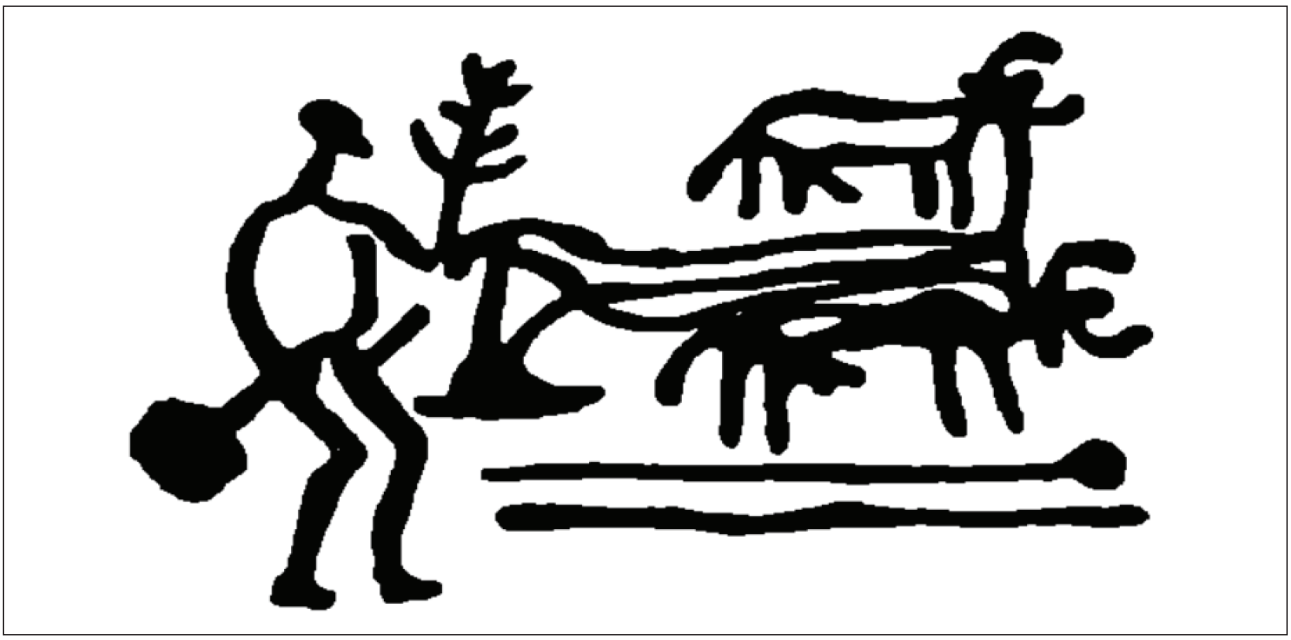

الشكل ٥: العصر البرونزي في السويد (Pershits et. al. 1982)، لتوضيح دور الذكور في الأنشطة الزراعية والتغيّر الجديدة التي حدثت منذ نحو العصر الحجري الحديث المتأخر.

تفسير دُمى الصوان الوظيفي في روسيا وأدلة إضافية لإثبات عقيدتها من الجزيرة العربية

إن التفسير الوظيفي الذي قدّمه دارسو هذه الدُّمى في روسيا الاتحادية لم يحظ بإجماع الباحثين، رغم اتفاق الجميع على أنها دُمى رمزية عقائدية في الغالب. فقد رأى (Kashina 2002: 58) (Ozols) (أزُولس) أن هذه الدُّمى استخدمت تعويذات، فكانت تعلَّق عل شكل قلائد على الرقاب أو تخاط على الملابس أو تعلق بخيط فيها، لكن آخرون رأوا أن هذا التفسير لا يوجد ما يدعمه في الواقع؛ إذ كان هذا الأمر يقتضي أن يكون في هذه الدُّمى ثُقب لتعليقها، لكن هذا الثقب لا يوجد سوى في دمية وحيدة (ل٤-أ: ٢٣) (Kashina 2002: 58, fig. 1: 23). أمَّا الفرنسيون فقد رأوا أنها صُنعت للعب والتسلية (Zamyatnin 1948: 100)، وبعد ذلك ظهرت أعمال ترى أن دُمى ما قبل التاريخ بشكل عام صُنعت للتسلية ولعب للأطفال (Ucko 1968)، ووسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي (Bailey 2005, Bailey et. al., 2010)، ولا علاقة لها بالفكر العقائدي، شملت هذا الرؤية الأشكال الحيوانية أيضًا (Ochsenschlager 1974). لكن هذا الرأي شمولي لا ينطبق على كل هذه الدُّمى كما نعتقد. فيما رأى آخرون أن استخدام هذه الدُّمى يختلف باختلاف عصورها، والمناطق الجغرافية التي وجدت فيها (Studzitskaya 1971)، وأنها استُخدمت في الشعائر الجنائزية، إذ كانت تدفن مع جثامين الموتى استنادا إلى سبع دُمى وجدت في مدافن الأموات في روسيا (Kashina 2002: fig. 2, 8, 13, 14, 25, 26, 29) (ش٤)، ورأى بعض الباحثين أنه لا يوجد توثيق دقيق لأماكن وجود هذه الدُّمى في هذه المدافن بحيث تكون هذه الرؤية موثَّقة، ومدعومة بصورة دقيقة (Kashina 2002: 58). وهناك مَن يرى أن الدُّمى البشرية بشكل عام تعكس عبادة الأجداد (تُذكّر بهم، وتُخلّدهم) (Kostyleva, Utkin 2013: 62)، وثمة تفسيرات أخرى غير مسنودة بدلائل أثرية[١٠]. غير أن تفسير الدُّمى التي وجدت في مدافن الأموات (Zimina 1992, Studzitskaya 1994, Utkin & Kostyleva 1996) آنفة الذكر، جعل الكثير يرى أنها وشبيهاتها كانت لشعائر جنائزية (Zimina 1992, Studzitskaya 1994, Utkin & Kostyleva 1996).

هذه الدُّمى السبع صنّفناها بحسب نوع الجنس إلى

ما يلي: أربع دمى أنثوية (ش٤: ١، ٣، ٥- ٧)، ودمية وحيدة مذكرة (ش٤: ٤؛ ل٤-أ: ٢٩)، وأخرى وحيدة أسطورية لإنسان مع دُب (ش٤: ٢؛ ل٣: ٣١). فالدُّمى التي كانت لعبًا للأطفال قد تكون وجدت بين بعض الدُّمى الفخارية استنادًا إلى أن بعض الدُّمى التي عُثر عليها مع أطفال في بعض مناطق العالم فسرت على أنها لعب للأطفال (Timothy 2017)، ومع ذلك فإن هذا التفسير يُعدُّ تفسيرًا شموليًا وغير دقيق، فهناك من الباحثين مَن حاول تتبع لُعب الأطفال من خلال دراسات الدُّمى المعاصرة، ودُمى ما قبل التاريخ، والدُّمى الإثنوغرافية (Langley, Litster 2018)، والتمييز بينها وبين التميثيلات الفخارية التي تمثل الإلهة الأم (Talalay 1993)، ولم يصلوا إلى هذه الاستنتاج.

والباحث، إذ يذهب إلى أنَّ هذه الدُّمى في روسيا يمكن أنْ تكون لشعائر جنائزية، وأنَّ الدُّمى التي توجد مع الأطفال في مقابرهم ليست جميعها لعبًا، إنْ لم تكن جميعها عقائدية، نستند في هذا الرأي إلى دُميّة فخارية في قبر مع طفل رضيع عثر عليها في الصنيميات بدومة الجندل في شمالي الجزيرة العربية (ل٨: ٣) تتزامن مع الفترة الهيلنستية (الدايل١٩٨٨: ل٤٠- ب)، نحسبها لشعائر جنائزية، فهي فخارية للإلهة الأم دُفنت مع هذا الرضيع لتكون بمثابة أمه التي تؤنسه في ذلك القبر الموحش وعالم الآخرة، ولترضعه عند عودة الروح إليه من جديد، ولأفكار عقائدية إضافية أخرى محتملة. وهناك دمية أخرى حجرية أنثوية في رَاوِك (Rawik) في محافظة حضرموت في اليمن (ل٨: ٢) وجدت في قبر مع رضيع لا يتجاوز عُمره سنة واحدة للغرض نفسه كما نرى، وأخرى غيرها في المنطقة نفسها. هاتان الدميتان في هذين القبرين، إضافة إلى شهادتهما على ما سلف ذكره، وعلى أنهما عقائدية تشهدان أن هذه الدُّمى ليست للعب والتسلية، خاصة أنَّ هذين الطفلين كانا في هذا العُمر المذكور الذي لا يفقهان فيه اللعب، والتسلية، وتشهدان أنّ الدمى لمرافقة للأطفال في القبور فهي، إذًا، لشعائر جنائزية غالبا، وأنثوية مبدئيا، وأنَّ هذه الدُّمى البشرية الصوانية في هذه المرحلة تُعدُّ أنثوية، باستثناء عدد ضئيل منها يُعدُّ ذكوريًا، وتشهدان على مصداقية تصنيفنا لهذه الدُّمى واعتبارها دمى أنثوية غالبًا، باستثناء الدمى التي وجدت في أمريكا لأنها تعود إلى القرون الميلادية التي ساد فيها المعبود الأب، وبحسب ما ذهبنا إليه فإن هذه الدمى البشرية بشكل عام ذات صلة بالمعبودة الأم، وتشير إلى مكانة الأنثى العالية في الفكر العقائدي، والنمط المعيش، والحياة اليومية، أو إلى مرحلة أفول هذه المكانة للأنثى، من خلال هذه الدمى الصوانية كذلك.

دُمى أمريكا وكندا والأسكا الحجرية وأوجه الشبه والاختلاف مع العالم القديم

سجل في القرن ١٩م في الأسكا (Alaska) وكندا عدد من الدُّمى الحجرية، ومن خلالها عُرف أنَّ الأسكيمو يتخذون دُمى الحُوت رمزًا لجلب الحظ في الصيد (Murdoch 1892)، وهذا مثال على أن هذه الدُّمى لها وظائف مختلفة تختلف باختلاف البيئات وتقاليد البشر رغم المبادئ الإنسانية العامة، وأنها في الأسكا (Molly 1999) وكندا حديثة العهد غالبًا، والحال نفسه في أمريكا (Fitzhugh, Engelstad 2017) ، فقد وجدت أغلبها في مواقع حضارة المايا، منها نماذج أرخت بـ ٢٠٢م (Joyce 1932: XVii)، وبعضها بين القرن ٣م ٩م (ل٦: ٣١)[١١]، لذلك استُثنيت هذه المجموعات من النموذج الإحصائي النسبي لهذه الدُّمى (ج١). هناك مصنوعات من الصوان (ل٦: ٣٦)[١٢]، والشيرت (ل٦: ٣٤)[١٣] قد ترجع إلى العصر الحجري الحديث، لكنها قليلة العدد، منها صنعة وحيدة من الصوان ضمن مجموعة خاصة، صُنّفت رأس سهم، ونرى أنها لآدميين مع بعضهما على الأرجح، قد تكون لذكر وأنثى (ل٦: ٣٦)، مقارنة بما عثر عليه في العالم القديم (ل٥: ٦، ٢٥، ٢٦)، وقد تكون لأنثيين. فرؤوس السهام لا تأتي على هذا الشكل. هذه الدُّمى التي سجلت في أمريكا ذات معانٍ مختلفة عن معاني مجموعات العالم القديم بحكم فتراتها المتأخرة في أمريكا، وكندا، وبسبب الأحداث التاريخية ذات

الصلة. كما أن هذه المجموعات الحجرية لا توجد لها دراسات دقيقة لا في أمريكا ولا كندا، وبعضها يقع ضمن مجموعات خاصة، مصداقيتها الأثرية غير مؤكدة. هذه الدُّمى الحجرية تتألف في أمريكا من أشكال بشرية (ل٦: ١- ٢٠، ٢١: أ- ج، ٢٢- ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٨) وحيوانية، ومنها الزاحفة، كالأفاعي (ل٦: ٢١د)، والعقارب، إضافة إلى الأحياء المائية كالأسماك والسلاحف مع أنها قليلة العدد، وأشكال أسطورية (ل٦: ٣٧)[١٤] وخرافية (ل٦: ٣٢- ٣٣)[١٥] وهندسية، وأخرى غير محددة. هذه الأشكال جميعها سميت أشكال الصوان غريبة الأطوار (Eccentric Flint). سجل هذا النوع بدءًا بعام ١٩٢٨م في الهندوراس، ووصل عددها إلى نحو ١٠٠ شكل، أرخت بعضها من موقع بُسِيلحَة (Pusilha) ما بين ٢٠٢- ٣٠٠ سنة ميلادية (Joyce 1932: XVii). ووجِد بين النماذج التي نشرت من هذه المجموعة شكل سيامي على الأرجح (توأمان ملتصقان ببعضهما بعضًا) (Conjoined or Siamese figurine) (ل٦: ٢٧)، وهناك أشكال فخارية كثيرة مشابهة له في ثقافة تلَاتِلْكُو (Tlatilco) في المكسيك (ل٦: ٢٨، ٢٩) (Santasilia 2018)، ترجع إلى ما بين ١٢٥٠ - ٨٠٠ ق.م.، كأنها استوحيت من هذه الأشكال الحجرية القديمة.

من مميزات الدُّمى الحجرية في أمريكا وكندا أن الأشكال البشرية تعرف بسهولة، من خلال أطرافها السفلية، وأشكالها التخطيطية الشبيهة بالإنسان، مقارنة بدُمى الجزيرة العربية، والشام، التي تخلو من هذه الأطراف، فهي بهذه الخاصية تتشابه مع عدد من الأشكال البشرية التي وجدت في روسيا الاتحادية، خاصة الذكورية. ومن أسباب ذلك أن الدُّمى الروسية أحدث من دُمى الجزيرة العربية والشام، والدُّمى الكندية والأمريكية أحدث من الدُّمى الروسية، لكن الغريب فيها عدم مصادفة الأشكال الأنثوية، كل ما وجدناه خلال بحثنا عنها، دُمية وحيدة ترتدي ملبسًا طويلًا (ل٦: ٣٥)[١٦]، ولو أن هذه الأشكال الأنثوية وجدت بكثرة في أمريكا وكندا لكانت قد نشرت ضمن الأشكال الأخرى.

إن غياب الإناث وسط هذه الدُّمى الحجرية يجعلها تقف على عكس دُمى العالم القديم الصوانية المكونة من إناث غالبًا في العصر الحجري الحديث؛ والسبب في ذلك يرجع إلى ظهورها المتأخر، فظهورها في هذه الفترة يتزامن مع سيادة المعبود الذكوري المتأخرة، ليس في العالم القديم وحسب، بل وفي أمريكا نفسها وكندا والأسكا التي من مظاهرها الأخرى انتشار النصب الحجرية المتأخرة، وعضو التذكير المجسد للمعبود الذكوري[١٧]. فهذه الدُّمى الحجرية تشير بدورها إلى سيادة دور الذكور في التحكّم بسير الأحداث في هذه المرحلة المتأخرة في هذا العالم الجديد، مثله في ذلك مثل العالم القديم الذي حدث فيه هذا التحوّل منذ العصر الحجري النحاسي، كما أن هذه الدُّمى تشير إلى وحدة القوانين الإنسانية بصرف النظر عن بعد المسافات والعوائق.

هناك مجموعة كبيرة عثر عليها في قبور في معبد الثعبان ذي الريش (Feathered Serpent) الهرمي الشكل للإله (كِيتزَالْكُوَاتل) (Quetzalcoatl) في منطقة تيوتِيهُواكان (Teotihuacán) في المكسيك، ومن خلال اللوحة التي عرضت في هذا البحث التي تضمنت ٣١ نموذجًا لما عُثر عليه في هذه المقابر (ل٦: ١٢-أ-د) (Castro et. al., 1991: Fig. 10)، توزعت بحسب تصنيفنا لها إلى: ١٥ شكلًا آدميًا مُذكَّرًا (ل٦: ٢١: أ، ج)، العدد الأكبر منها مكرر ضمن الأشكال الذكورية التي وردت في القسم الآخر من هذه اللوحة نفسها في هذا البحث (ل٦: ١- ٢٠، ٢٢- ٢٧، ٣٠، ٣١، ٢٨)، وقد أعاد نشرها آخرون، أحد هذه الأشكال يتضَّمن عضو التذكير (ل٦: ٢١- أ)؛ وهذه ظاهرة فريدة في نوعها بين جميع الأشكال البشرية التي عُرفت في العالم بأكمله، إذ من غير الممكن أن تكون جميع الأشكال البشرية الأخرى التي قدمت في هذا البحث أنثوية، وهذا الشكلَ الفريد هو الشكل الذكوري الوحيد إذا ما استندنا إلى عضو التذكير كعلامة وحيدة مميزة لفرز الذكور عن الإناث، بل استندنا إلى علامات أخرى في تحديد الذكور عن

الإناث سلف ذكرها، وإلى جانب ذلك وجدت سمات أخرى خاصة بهذا الشكل تختلف عن باقي هذا الأشكال الأخرى، تمثلت بثخانة جسمه، وحذاء في قدميه على الأرجح. هذا الشكل من خلال هذه السمات كأنه يرجع إلى ثقافة أخرى دخيلة على سكان أمريكا الأصليين، علمًا أنه قدّم في هذه اللوحة ضمن المجموعة البشرية التي وجدت في مقابر الموتى سالفة الذكر (ل٦: ٢١- أ)؛ وهذا يعني أنه ليس من فترة الاستعمار الأوروبي لهذه الأرض، لكن يبدو أن هناك التباسًا في هذا الشكل، فقد يكون من فترة المستعمر الأوروبي المبكرة، أو من ثقافة أخرى.

الشكل ٢١- ب (ل٦: ٢١ ب) يُعدُّ شكلًا أسطوريًا نصفه الأعلى إنسان، ونصفه الأسفل ثعبان، إضافة إلى ١٥ ثعبانًا (ل٦: ٢١- د)، وأدوات أخرى ذُكرت كتابةً، دون أن تنشر نماذج منها في المقال نفسه، منها: رؤوس سهام، وسكاكين حجرية، وشطائر (Blades). بعض هذه الرؤوس نشرت في مصادر أخرى (Spence 1996: Fig. 2)، مع عدد إضافي من الأشكال البشرية (ل٦: ١- ٢٠) من منطقة (تيوتيهُواكان) نفسها[١٨]، وأخرى أعيد نشرها من جديد إلى جانب أشكال أخرى لم تنشر من قبل (ل٦: ٢٢، ٢٤، ٢٦- ٢٧، ٣٠) (Joyce 1932) (ل٦: ٢٣، ٢٥)[١٩].

تفسير الدُّمى الحجرية في أمريكا وأوجه الشبه والاختلاف مع العالم القديم

وزّعت هذه الدُّمى الحجرية البشرية في القبور آنفة الذكر بشكل عشوائي في أماكن متفرقة (Castro et. al., 1991: 85). أضف إلى ذلك أن الدراسات الأخرى التي تناولت عددًا من المقابر في منطقة (تيوتيهُواكان) لم تبين أن هذه الدُّمى وجدت بحوار جثامين الموتى مباشرة (Elson, Mowbray 2005: Fig. 4)، ومن خلال ذلك يستنتج أن هذه الدُّمى لم تكن من الأثاث الجنائزي الأساسي الذي سيحتاج إليه المتوفَّى عند عودة الروح إليه من جديد، بل كانت جنائزية لوظيفة أخرى عامة، كما أن المصنوعات الحجرية الأخرى التي وجدت في هذه المقابر لم تكن مرافقة لجثامين الموتى بشكل مباشر، بما في ذلك الثعابين التي بلغ عددها ١٥ ثعبانًا (ل٦- ٢١: د)، ورؤوس السهام. بعض هذا الأثاث الجنائزي وضع في مواد نباتية (Vegetable material)، ووزِّع على هذه المقابر بصورة جماعية. وعليه، فإن هذه الدُّمى لم تكن ملكًا فرديًا، على اعتبار أنها لم توجد مرافقة لكل جثمان على حدة من جثامين هؤلاء الموتى (Joyce 1932). فيما يخص جثامين المتوفَّين من البشر في هذه القبور كانوا جميعهم ذكورًا، وبلغ عددهم ٢٠ فردًا، أحد هؤلاء المتوفَّين في هذه القبور وجِدت يداه مثنيتين إلى الخلف، واستنتج من خلال هذه الطريقة، ومن خلال الوضع العام لهذه المقابر في هذا المعبد أن هؤلاء الأشخاص ماتوا قتلًا، كأضاح للآلهة، ويبدو بصورة جماعية، أو على شكل مجموعات، لإرضاء الآلهة، أو بمناسبة الانتهاء من بناء هذا المعبد، أو لحمايته أو لهدف عقائدي آخر. فهؤلاء الضحايا لم يكونوا أحرارًا فيما يبدو لنا، مع أنه يصعب التكهن بمراتبهم الاجتماعية، هل كانوا عبيدًا أم جنودًا أم غير ذلك؟ لكن من خلال هذه الشعائر يبدو أن هناك فئة من البشر كانت مهيمنة اجتماعيًا باسم الآلهة، وعلى علاقة بالسلطة، وكان لديها مثل هذه الممتلكات العامة، وهي التي كانت تأمر بقتل هؤلاء البشر باسم الرّب، وتوزيع هذا الأثاث الجنائزي على مقابرهم بشكل جماعي، من ضمنها هذه الدُّمى البشرية الذكورية الحجرية. فهذه الدُّمى لم تقدّم قرابين عوضًا عن البشر بحكم أن الأضاحي كانت ذكورًا بشرية، كما أنها لم تقدم على شكل هدايا، أو نذورًا للمعبد كونها لا تنتمي إلى أشخاص محددين، وبخاصة إذا كان الهدف من الأضاحي البشرية الذكورية أن تكون جنودًا لحماية هذا المعبد وآلهته، على اعتبار أن الإناث غير موجودة بينها، إضافة إلى وجود رؤوس سهام حجرية ضمن شعائر هذا الدفن قد تكون أسلحة أعدّت لهذه الضحايا الذكورية عند عودة الروح إليها من جديد للدفاع بها عن هذا

المعبد وآلهته، أو لمعتقدات أخرى ذات صلة، خاصة أنَّ سكان أمريكا الأصليّين كانوا يستخدمون رؤوس السهام الحجرية سلاحًا رئيسًا للدفاع بها عن أنفسهم إلى وقت غير بعيد، وما يزال بعضهم في الأدغال يستخدمها إلى الآن؛ ومع ذلك فإن وظيفة هذه الدُّمى الحجرية البشرية الذكورية التي وجدت في هذه القبور غير واضحة؛ إذ من غير المنطقي أن تكون لحماية المعبد وآلهته هي الأخرى، ما دام أن هناك ذكورًا بشرية حية قتلت لهذا الغرض، لكن هذ الأمر قد يكون واردًا، سواء لحماية المعبد وآلهته أم لحماية الأضاحي البشرية نفسها، أو لخدمتها عند عودة الروح إليها مرة أخرى، أو لعقائد أخرى غير معروفة.

أما السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا هذا المعبد وآلهته كان بحاجة إلى هذه الأضاحي البشرية للحماية ما دام أن المعبد مصدر إلهام البشر، وآلهته مصدر قوة وحماية؟ فالأضاحي في العالم القديم كانت تقدم لإرضاء الآلهة لتجنُّب غضبها أو لأن تجود لعبّادها بما تملكه، وليس لحمايتها، لكن هذا الوضع في أمريكا قد يعكس نظام حياة الجماعات البشرية التي عاشت في المنطقة وسلوكها، إضافة إلى أن مضمون هذه الدُّمى هنا يختلف عن مضمون مثيلاتها في العالم القديم بسبب فترتها الزمنية المتأخرة، والتقاليد المحلية التي عكست نفسها على وظيفة هذه الدُّمى؛ لكن وبصرف النظر عمَّا سلف ذكره فهي لشعائر جنائزية بصورة مؤكدة، وليست للعب والتسلية. أضف إلى ذلك أن الأضاحي البشرية الذكورية تؤكد أن الدُّمى البشرية الحجرية التي وجدت في هذه المقابر ذكورية، وسلامة تصنيفها سالف الذكر، ووجود فكر عقائدي، وتركيب اجتماعي غير بسيط.

دُمى الصوان في مصر والتشابه مع حضارتي المايا وإنكا

عرفت الدُّمى الحجرية في مصر أول مرة في تسعينيات القرن ١٩م، وبلغ ما جمعه الباحث منها من مصادر منشورة مختلفة ٢٣ دمية (ل٧ ، ش٣)، أغلبها، إن لم تكن جميعها، عثر عليها في مقابر (Hierakonpolis Nekhen) (مدينة الصقور) (الكوم الأحمر حاليًا)، أقدمها يرجع إلى ثقافة نقادة ٢ التي لا يزيد تاريخها عن ٣٨٠٠ سنة ق.م.، مع أن الكثير من هذه الدُّمى متأخر عن هذا التاريخ، وتتألف من ثيران، ووعول، وفرس النهر، وماعز، وطيور، وزواحف، كالعقارب، والثعابين؛ فجميعها حيوانات باستثناء تُميثيل ذكوري وحيد (ل٧: ١) سُجِّل على المستوى السطحي للتابوت رقم ٤٧ الخاص برجل قزمي الشكل (Dwarf) (Pieri 2011) اعتُقد أنه تمثال لهذا القزم (ل٧:١). هذا القبر يقع ضمن مجموعة من القبور عُثر فيها على رفات ٣٩ فردًا في نحو ١٤ تابوتًا، أقلهم عمرًا ٨ سنوات، وأكبرهم ٣٥ سنة باستثناء هذا القزم كان عمره ٤٠ سنة، تابوته يقع تحت منشأة للعبادة. هذه التوابيت تحيط بتابوت (قبر) رئيس وحيد، رقمه ١٦ يعتقد أن صاحبه كان سيدًا في الحياة لمن حوله في هذه التوابيت الأخرى، ثُلث هؤلاء المتوفَّين كانوا ما دون ١٥ سنة في العمر، وهم فتيات، وصِبْية. القبر١٦، والقبور الأخرى المحيطة به، وأعمار الموتى وأجناسهم وعددهم، تشير إلى ما يلي: ١- جميع من في هذه القبور المحيطة بالقبر١٦ قتلوا وفق شعائر جنائزية ليرافقوا سيّدهم في عالم الآخرة. ٢- هذه الشعائر شبيهة جزئيًا بشعائر الفايكنغ (Vikings) الجنائزية التي وثقها ابن فضلان (ابن فضلان ١٩٥٩)، ٣- شبيهة جزئيًا بما وجد في معبد الثعبان ذي الريش في المكسيك. ٣- التَّميثيل الذكوري الوحيد سالف الذكر (ل٦: ١) كان لشعائر جنائزية أيضًا، حتى وإن كان تمثالًا لذلك الرجل القزم، مقارنة بالأشكال البشرية التي عُثر عليها في معبد المكسيك آنف الذكر، فهو يُعدَّ من الشعائر المتشابه بين المنطقتين. ٤- صناعة هذا التُّميثيل الذكوري في مصر تتطابق في عدد من السمات مع الأشكال البشرية الذكورية التي سجلت في معبد المكسيك، مع اختلاف في بعض التفاصيل، إضافة إلى أن تقوس الرجلين إلى

الخارج في هذا الشكل شبيه ببعض الأشكال الذكورية ذات الأرجل المقوسة إلى الخارج في أمريكا (ل٦: ٢٦، ٣١). ٥- الثغر المفتوح في الشكل٣ (ل٧: ٣) في مصر يتطابق مع ثغور الثعابين المفتوحة التي وجدت في معبد الثعبان آنف الذكر (ل٦: ٢١- د). ٦- كثرة العقارب التي سُجّلت في الحضارتين، منها أكثر من ٢٠ عقربًا في المقابر المصرية (ل٧: ١٥)، يجعلها تتشابه مع كثرة العقارب التي سجلت في المعبد المذكور، وفي مواقع حضارة المايا وإنكا في أمريكا بشكل عام. ٧- هذا التشابه الجزئي في شعائر الدفن في المقابر المصرية، ومجمع القبور في معبد المكسيك يقود إلى طرح السؤال التالي: هل كان هناك تواصل بين حضارة مصر القديمة وحضارة سكان أمريكا الأصليين؟ علمًا أن مسألة تجاوز مياه بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ثبت بالتجربة في سبعينيات القرن ٢٠م أنها كانت ممكنة (Heyerdahl 1978). أضف إلى ذلك أنه سجلت أدوات حجرية من العصر الحجري الحديث في أمريكا متشابهة مع الجزيرة العربية (المعمري ٢٠٠٠: ١٤)، بما في ذلك الراجم (Bolas) (المعمري ٢٠١٢)، ومع الجزيرة العربية الصحراء الأفريقية الكبرى والشام (المعمري: تحت الطبع١)، وهل واقع الحضارات والتشابه في النمط المعيش قد يقود إلى إنتاج عادات وتقاليد وقوانين متشابهة دون التواصل الحضاري المباشر؟ (المعمري ٢٠٠٠: ١٤)، ومع ذلك فإن وجود هذا التشابه، علاوة على عدد من أشكال المنشآت الهرمية نفسها الموجودة في كل من مصر، و حضارة المايا، وإنها قد تدل على وجود تواصل بين هذين البلدين.

أمّا رموز بعض الأشكال الحيوانية التي جسّدتها الدُّمى الحجرية، فقد كانت مقدّسة في معتقدات مصر القديمة، وعند شعوب أخرى كثيرة، منها الكبش الجبلي، والعجل (ش٣: ٢، ١٠)، (ل٧: ١٣)، ومن صفاتهما الفحولة، والخصوبة، وبهما جسَدت بعض الآلهة (أبو النضر، فدى ٢٠١٥)، أما الثعابين (ش٣: ٨) والعقارب (ل٧: ١٥) فرموزها كثيرة، منها الخير، والشر، أمّا الوعل (ش٣: ٦؛ ل٧: ٦، ٨) فله قصة أخرى، فهو لا يعبر عن رموز عقائدية، وحسب (عمار ٢٠١٧)، بل يحتل مرتبة عليا بين الحيوانات المقدّسة، ومنها على سبيل المثال في حضارة جنوبي الجزيرة العربية التي كان فيها الوعل رمزًا للآلهة، والفحولة، والجَمَال، والشموخ، والإباء لهذه الحضارة بأكملها، وسمَّى أهلها أنثى الوعل (أُرَوِيَّة) والجمع (أروى)، وصار هذا الاسم من الأسماء المحببة لحرائرهم، واشتقت منه أسماء، وأفعال كثيرة في اللغة العربية، وكان صيده مقدّسًا، ووفق مراسيم محددة، وما يزال في بعض مناطق اليمن إلى اليوم، ويجري استحضاره رمزًا للقومية اليمنية.

تصنيف مصنوعات صوانية في الجزيرة العربية من أدوات صيد إلى دُمى بشرية عقائدية

هناك ٢٥ صنعة صوانية من الثُمامة كانت قد صنّفت أدوات للصيد (أبو درك ١٩٨٤: ل٩٨- ٩٩) (ل١-أ؛ ل١-ب: ٢٩)، وصنعة وحيدة من الموقع ٢١١-٤٦[٢٠] في الخماسين صنّفت بالتصنيف نفسه (ل١-ب: ٣٠) (Zarins et. al. 1979: Pl. 5: 56)، لكن اكتشفنا أنها دُمى بشرية (المعمري: تحت الطبع١، ٢)، وجميعها متشابهة بالمبادئ العامة مع دُمى الصوان التي قدّمت في هذا البحث في مبدأ التقنية، والحجم، وصغر الحجم، ومن الاختلافات الرئيسة بينها أن الأشكال الحيوانية، والأسطورية لم تسجل في الجزيرة العربية، مقارنة بالبلدان الأخرى التي وجدت فيها هذه الدُّمى. وبحسب الخصائص التقنية، والنوعية قسمنا هذه الدُّمى إلى مجموعتين (نوعين): المجموعة الأولى تتألف من ٢٤ صنعة (ل١-أ) وجدت في الثمامة في موقع واحد على الأرجح[٢١]. والمجموعة الأخرى تتألف من صنعتين إحداهما وجدت في الثمامة كذلك (ل١-ب: ٢٩) صنّفت رأس سهم (أبو درك ١٩٨٤: ل ٩٩) من نوع النمط الصحراوي (ل١- د: ١)، والأخرى وجدت في الموقع ٢١١-٤٦ في الخماسين (ل١ أ-ب: ٣٠) من النوع نفسه، مع أنها وردت في ترجمة المقال إلى

اللغة العربية على أنها من الموقع ٢١١- ١٦، وصنّفت رأسًا للصيد، لكن بقاعدة مستديرة مع وجود فتحتين متقابلتين أعلى هذه القاعدة مباشرة (Long Point with two notches above rounded butt) (Zarins et. al., 1979: 19). هذا التصنيف لهذه الصنعة أكده آخرون، مع تدقيق بتسميتها إلى: (Notched tanged point)، وعدّوها نوعًا منتشرًا في الجزيرة العربية، وموازيًا لثقافة العبيد جنوبي العراق، مع احتمال وجود هذا النوع في ثقافة العبيد كذلك (Charpentier 2004: 61, Fig. 7)، لكن هذا الحديث غير دقيق؛ فهذا النوع لم يسجل في أكثر من هاتين الصنعتين في الجزيرة العربية بأكملها حتى الآن، وقد تكونان دُميتين آدميتين ذكوريتين لأفكار عقائدية، أكثر من كونهما رأسين للصيد، استنادًا إلى شكليهما، وندرتهما، ولو أن هذا النوع (ل١- ب: ٢٩- ٣٠) أدوات صيد لكان منتشرًا في مواقع كثيرة في الجزيرة العربية، مثله مثل باقي أدوات الصيد الأخرى. ونشير هنا إلى أن الصنعتين جهزت كلٌّ واحدة منهما على شظية حجرية، وهذِّبتا في الطور الثاني من صناعتيهما بالتهذيب المزدوج، مع إفراد تلك الفتحتين المتقابلتين قرب القاعدة لتمثلا الرقبة[٢٢].

المجموعة الأخرى من هذه المصنوعات تتألف من ٢٤ صنعة من الثُّمامة كانت قد صنّفت حرابًا للصيد (أبو درك ١٩٨٤: ١٠١)، ويرى الباحث أنها دُمى بشرية عقائدية؛ فهي تختلف عن الدميتين السابقتين في أنها تُعدُّ أنثوية، وليست ذكورية، وسنسميها معبودات (معبودات) بسبب حجمها الكبير نسبيًا، مقارنة بالدُّمى الأخرى، ولأنها إناث كذلك، وترجع إلى العصر الحجري الحديث الذي انتشرت فيه الإلهة الأم في العالم، مع أنه لا مجال لمقارنتها بالإناث الفخارية (ل٥: ١٧ -٢١)، ولا بغانيات (Venus)، أو (زُهرات) العصر الحجري القديم الأعلى (ل٥: ١- ٥). وعلى أساس هذا التصنيف فإن نسبة معبودات الثمامة تبلغ ٩٦٪ (ج١). هذه المصنوعات الأنثوية في الثُّمامة كنّا قد شبَّهناها بالقوارير في أبحاث سابقة (Rashed 1993a: 299, Rashed 1993b) لتفرّدها بهذا الشكل المميَّز، ولقربها من أشكال الإناث (ل١-أ)، وشبهنا قواعدها بحرف «M» (المعمري ٢٠٠٢: ٢٨) بسبب وجود ثلاثة نتوءات صغيرة فيها شبيهة بالعنق والكتفين في رؤوس الصيد المعنّقة (ل١-د: ١)، لكن هذه النتوءات في هذه المصنوعات لا تؤدي وظيفية ذلك العنق، فهي مستوحاة من هذا العنق وكتفيه، لكن لمعنى آخر. هذه النتوءات الثلاثة تشير إلى علامة التأنيث (الفرج/ أو بُضع) (Vulva) (الجهاز الخارجي التناسلي) بصورة رمزية تجريدية، على الرغم من أن الشبه بينهما بعيد للغاية، إذا كانت المقارنة بصورة مباشرة. ولتقريب هذه الصورة إلى الذهن أكثر، فإن الجزء الأسفل في الأشكال البشرية العودية مما يلي الخصر في الفن الصخري يرمز له بثلاثة أطراف: الطرف الأوسط يمثل عضو التذكير، والطرفان الآخران يمثلان الرِّجلين (ل٣: ٣٥- ٣٨)، والأمر نفسه في الإناث، النتوء الأوسط الصغير قد يمثل الشكل الخارجي للجهاز التناسلي مجازًا، والنتوءان الآخران يمثلان الرجلين (١-د: ٢-٤). هناك دُمية في هذه المجموعة النتوء المتوسط فيها غائر إلى الداخل إلى حد كبير (ل١: ٢٨)، كأنه الأقرب في هذا التشبيه المجازي، أو أنّ هذه النتوءات الثلاثة تمثل الأطراف السفلية من جسد هذه الأشكال الأنثوية، بصرف النظر عن هذه التفاصيل، (إناث شبيهة بأدوات صيد). أضف إلى ذلك أنَّ هذه المصنوعات ليست عريضة الشكل كالرؤوس الحادة، ورؤوس السهام، ولا يوجد فيها طرف علوي حاد كرؤوس الصيد (ل١-د: ١)، وجوانبها ليست حادة بسبب شكلها شبه الأسطواني الذي شبهناه بالقوارير. هذه الأشكال لا تتطابق مع رؤوس الصيد الحادة في المضمون، بصرف النظر عن بعض جوانب الشبه الشكلي بينهما. ولو افترض بعضنا أن هذه الدُّمى تمثل رؤوسًا للصيد بمعانٍ رمزية عقائدية بناء على وجود هذه النتوءات الثلاثة[٢٣]، فإن هذا الافتراض لا تدعمه الأجزاء الأخرى سالفة الذكر، بما في ذلك الطرف العلوي في هذه الأشكال. فهي دُمى أنثوية تنتمي لصيادي وجامعي القوت، بما

في ذلك الشكلان الآخران اللذان قد يكونان ذكوريين (ل١-ب: ٢٩، ٣٠) مع أننا لا نستطيع تأكيدهما بشكل قاطع، مقارنة بمعبودات الثُّمامة (ل١-أ). فلو أنَّ هذه المصنوعات في الثمامة أدوات صيد لكانت منتشرة كأدوات الصيد الأخرى في هذه الجزيرة.

لقد صنع أصحاب هذه الدُّمى أشكال معتقداتهم تقليدًا لأدوات الصيد التي كانت جزءًا حيويًا من حياتهم، وبيئتهم المعيشية، ولم يبحثوا عن أشكال أخرى؛ مع أن الفكر العقائدي الذي عكسته هذه الدُّمى الأنثوية يحاكي الإلهة الأم التي وجدت في مجتمعات الزراعة، لكن هذه الإلهة تأثرت بها مجتمعات الصيادين والجمع، حتى الدُّمى الروسية آنفة الذكر كانت لصيادي القوت وجامعيه (ل٢: ٥)، وليس لمزارعين. وهنا نعيد ما سلف ذكره أن بعض الدُّمى في روسيا الاتحادية تشبه الدببة (ل٢: ٤)، الأطراف السفلية في بعضها شبيهة بأنياب هذا الحيوان (ل٢: ٧، ل٣: ١٧، ٢٧)، الرأس في بعضها رأس دب، في حين باقي أجزاء الجسد قريبة من جسد الإنسان (ل٢: ٦)، وأخرى متداخلة بين السمات البشرية وسمات الدببة يصعب التمييز بينهما (ل٣: ٣١، ٣٣، ٣٤)، ما يعني أن الإنسان كان يستعير صورًا من بيئته المحيطة عند صناعة عناصر من ثقافته المادية أو تجسيدها، والحال نفسه وجد في الجزيرة العربية في هذه الدُّمى. والآن، صار واضحًا، بعد أن عُرف أنَّ هذه المصنوعات الحجرية في الثُّمامة تُعدُّ دُمى بشرية عقائدية وليست أدوات صيد، وأن بقايا بعض المنشآت الحجرية الموجودة في الثُّمامة نفسها واستعصى تفسيرها كانت لطقوس دينية وبيوت عبادة (ل١- هـ) من المحتمل، استنادًا إلى السمة العقائدية الموجودة في هذه الدُّمى نفسها، وأنّ هذه الدُّمى مرتبطة بواحة الثمامة نفسها، وليس بأرض أخرى غيرها في الجزيرة العربية نقلت منها إلى هذه الواحة[٢٤]، استنادًا إلى وجود بقايا هذه المنشآت الحجرية الثابتة ذات الصلة كما نعتقد، وأنَّ الجزيرة العربية عرفت في العصر الحجري الحديث فكرًا عقائديًا للصيادين وجامعي القوت من جهة، ومن جهة أخرى للرعاة (المعمري: تحت الطبع٢)، وللمزارعين منذ نحو العصر البرونزي.

تصنيف مصنوعات صوانية في الشام من أدوات صيد إلى دُمى بشرية عقائدية

نُشرت ١٢ صورة فوتوغرافية ورسمًا لمصنوعات من الصوان من خريصان في الأردن في مقالين أحدهما في عام ٢٠١٦م تضمن ٣ صور لثلاث مصنوعات (Ibáñez et. al., 2016: Fig. 15) والآخر في عام ٢٠١٩م تضمن ١١ صورة، ورسمًا، إحدى هذه الصور مكررة بالرسم (ل١-ج: ١- ٢)، وذُكر في هذا المقال أن جميع هذه المصنوعات تتألف من ٢٢ صنعة (Borrell et. al. 2019: 263)، وصنّفت جميع هذه الأشكال في هذين المقالين شطائر من ذات الفتحتين المتقابلتين المزدوجة «Bladelets with double pairs of notches»، وقورنت بأدوات الصيد من ذات الفتحتين (Strangulated) في مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) كالخليل١ في فلسطين، ومشاش١٦٣ في الأردن (Borrell et. al. 2019: 263- 264)، وأخرى غيرها (Dag et. al., 2010: fig. 5.13: 5- 6, fig.5.30, fig.5. 35)، ومع أدوات صيد من ذات الفتحتين المتقابلتين في مريبط (Cauvin 1974a) والتل الأسود (Cauvin 1974b) في سوريا، مع أنه ذُكر في المقال الأخير أن استخدامات هذه الأدوات ومعانيها غير معروف حتى الآن، وأنه يجب النظر في جميع الاحتمالات بما في ذلك أنها قد تكون أدوات منزلية (Domestic tools)، أو رمزية (Symbolic artefacts)... إلخ (Borrell et. al. 2019: 264).

هذه المصنوعات حسب رؤية الباحث لها تُعدُّ دُمى بشرية عقائدية، استنادًا إلى أشكالها، وتقنية صناعتها، ومقارنتها بالخلفية العالمية التي عُرضت في هذا البحث؛ فهي تتطابق في عدد من المواصفات مع الأشكال البشرية التي وجدت في روسيا الاتحادية (ل٣، ٤- أ)، والجزيرة العربية (ل١-أ)، لكنها تختلف عنهما بأنها صنعت من شطائر حجرية، ولم تهذَّب بالتهذيب

المزدوج، بل شُكِّلت في المرحلة الثانية من صناعتها بالفتحات المتقابلة المزدوجة الجانبية (ل١- ج)، على النحو الآتي: فتحتان متقابلتان في الطرف الأسفل من فِلقَة الصوان التي صنعت منها هذه الدُّمى لتشكيل كل من الرقبة، والرأس، كي تصبح شكلًا آدميًا، وفتحتان أخريان متقابلتان قرب المنتصف لأفراد الخصر، خاصة في الأنثوية منها، وبذلك يصبح الجسم في هذه الدُّمى البشرية مقسومًا إلى قسمين، القسم العلوي يشمل البطن، والصدر، والأجزاء الأخرى العلوية، والقسم الآخر يمثل الحوض وما يليه من أجزاء أخرى في الجزء الأسفل من الجسم (ل٤- ب: ٦- ٧)، ولا يوجد في هذه الدُّمى أطراف (أيادٍ أو أرجل)، فهي بهذه السمات تتشابه مع دُمى الجزيرة العربية، وتختلف عن باقي الدُّمى البشرية الأخرى التي قدّمت في هذا البحث والسبب في ذلك أن هذه الدُّمى في الشام، والجزيرة العربية أقدم من مثيلاتها التي وجدت في العالم.

أكّدَت سمات الأنوثة في الدُّمى الشامية من خلال النتوءَين البارزين الدالين على الكتفين واليدين، والثديين في الوقت نفسه (ل١- ج: ٦، ٧؛ ل٤- ب: ٦- ٧) مثلها مثل الدُّمى المؤنثة التي وجدت في روسيا الاتحادية سالفة الوصف، إضافة إلى ضيق الخصر بتَينك الفتحتين المتقابلتين (ل١-ج: ٥- ٨)، مقارنة بالدُّمية الذُّكورية الوحيدة في هذه المجموعة آنف الذكر (ل١- ج: ٩)، وإلى سعة الحوض، والأرداف في عدد منها الدالة على الخصوبة (ل١- ج: ٧، ٨)، والرأس الصغير بشكل عام، على الرغم من تعدد أشكال هذه الرؤوس: منها الشكل المستدير (ل١- ج: ٦)، والمستطيل، أو المربع (ل١- ج: ٨)، وشبه المربع (ل١- ب: ٧)، والرأس ذو الهامة المقوسة (ل١- ج: ٥)، والناتئة إلى أعلى، أو (الحادة) (ل١- ج: ١٢)، والبارزة إلى الخلف (ل١- ج: ١)، إضافة إلى التصميم الكلي العام الدال على الأنوثة، والإخصاب، وتشير مواصفات هذه الدُّمى إلى أنها تنتمي لمجتمع زراعي، وليس لمجتمع رعي.

هذه الدُّمى بتصنيفنا لها بحسب الجنس تنقسم إلى فئتين (نوعين): ١٠ دُمى أنثوية (ل١- ج: ١- ٨، ١٠- ١٢)، ودُمية وحيدة ذكورية (ل١- ج: ٩). بين هذه الدُّمى دُميّة وحيدة (ل١-ج: ١٢) نشرت في المقال الأول عام ٢٠١٦م (Ibáñez et. al., 2016: Fig. 15) مع صنعتين أخريين (ل١-ج: ٥، ٨) صُنّفت مع بعضها شطائر من ذات الفتحتين المزدوجتين المتقابلتين في نطاق أدوات الصيد، لكن هذه الدُّمية لم يُعَد نشرها ضمن المجموعة الأخيرة التي نشرت في المقال الآخر عام ٢٠١٩م (Borrell et. al. 2019: Fig. 8) (ل١-ج: ١- ١١)، مع أنَّ الصنعتين الأخريين اللتين نشرتا معها من قبل أعيد نشرهما (ل١-ج: ٥، ٨) ضمن المجموعة الجديدة التي لم نتشر من قبل، اعتقادًا منهم أن هذه الصنعة لم تكن شطيرة نموذجية من ذات الفتحات المزدوجة تستحق إعادة النشر، وبالنسبة لنا فإن هذه الصنعة هي الوحيدة التي صنفناها إلهة متعبِّدة أو (ناسكة) لعدم وجود هذه الفتحات فيها، كما سيأتي وصفها في مكانه من هذا البحث، وأضفناها إلى هذه اللوحة التي نشرت في مقال العام ٢٠١٩م (ل١-ج: ١- ١١) تحت الرقم ١٢ (ل١- ج: ١٢).

١- تميزت الدُّمية الذكورية الوحيدة التي وجدت وسط هذه المجموعة في موقع خريصان (ل١- ج: ٩) بما يلي: أفرِد الرأس بفتحتين متقابلتين فصارت هاتان الفتحتان تمثلان الرقبة، مثلها مثل باقي الدُّمى الأخرى البشرية، وقسّم باقي الجسد إلى جزأين آخرين من خلال فتحة أخرى قرب المنتصف شبه مستطيلة وغير عميقة، في الجهة الأمامية من هذه الدُّمية، وليست الجانبية، فصارت هذه الفتحة تمثل الخصر الاعتيادي للذكور، وليس خصر الإناث الضيق، ولا يوجد في منطقة الصدر أي زوائد يدل على الأنوثة. الرأس مغطًّى بقبعة طويلة، شبيهة بالطربوش. الجزء العلوي من جسد هذا الشكل مما يلي الخصر يساوي طول الجزء الأسفل منه، أو يزيد قليلًا، إضافة إلى أن الجسد بأكمله من الأعلى إلى الأسفل شُكّل بصورة

انسيابية، وأن الجزء الأسفل منه مّما يلي الخصر إلى نهايته أوسع بقليل من الجزء العلوي، كل ذلك يشير إلى أن هذا الشكل الذكوري كأن عليه لباسًا شبيهًا بما يُعرف اليوم بالثوب، حتى إن الفتحة التي مثلت الخصر في منتصف جسد هذا الشكل التي تُعدُّ شبه مستطيلة وغير عميقة، والتي تشير إلى خصر ذكوري، تمثل عنصرًا زخرفيًا في هذا الثوب كذلك، وبشكل عام فإن التصميم الكلي لهذه الدُّمية غير ممتلئ الشكل، وذو منظور جانبي (Side view).

٢- دميتان أنثيانِ حاملتان لطفليهما في بطنيهما، تلبس كلٌّ منهما ثوبًا أو (فستانًا) فضفاضًا ومتشابهًا بالشكل والمضمون، بصرف النظر عن التفاصيل الجزئية لكل منهما، واحدة منها مكررة بالصورة والرسم (ل١-ج: ١- ٢)، الرأس في هذه الدّمية (ل١-ج: ١، ٤) أفرد عن باقي الجسد بفتحتين متقابلتين مثل باقي الدُّمى الأخرى؛ فصارت هاتان الفتحتان بمثابة العنق، يليها في الأعلى الرأس. أما باقي الأجزاء التشريحية الرئيسة الأخرى من الجسم فقد أظهِرت من خلال فتحتين أخريين متعاقبتين على الجهة الأمامية من هذه الدُّمية، وليس من الجانبين، كما هو في باقي الدُّمى الأخرى في هذه المجموعة، فتحة واحدة منهما نفذت تحت الثديين مباشرة، بهدف إبراز هذين الثديين، وإبراز البطن إلى الأمام في الوقت نفسه، لتوضيح الحمل من خلال هذه البطن البارزة، هذه الفتحة كأنها مثلت الحجاب الحاجز، أمَّا الفتحة الأخرى فقد نفّذت أسفل البطن لإبراز هذه البطن كذلك. أضف إلى ذلك أنَّ النحات أظهر تقوسًا غير عميق في نهاية المنطقة الوسطى من الظهر المقابلة للبطن ليتناسب هذا التقوس مع بروز البطن إلى الأمام، وفي هذه المنطقة من الظهر في اللباس نفسه يوجد عنصر زخرفي لتزيين هذا الملبس، مع بروز بسيط في نهايته يُعدُّ جزءًا من هذه الزخرفة. إضافة إلى ذلك، ظهرت بعض التموجات في شكل الخام الذي جهزت منه هذه الدّمية (الإلهة) في المنطقة الجانبية من جسدها، بَدَت كأنها تموجات في هذا النوع من الملابس الفضفاضة للدلالة على أنه ملبس غير سميك، والرياح الخفيفة تستطيع تحريكه كذلك. إضافة إلى ذلك، فإنَّ هذا اللباس كأنه يشير إلى وجود مُناخ دافئ في الوقت نفسه. أمّا الرأس فقد صمِّم بشكل بارز إلى الخلف، وبطريقة تشير إلى وجود وجه فيه، لكن هذا الوجه خال من العناصر التشريحية، ويشير التصميم العام لهاتين الدميتين الأنثيين الحاملتين. ومع اختلاف التفاصيل بينهما، فإنهما في فترة متقدّمة من فترة الحمل استنادًا إلى بروز البطن الكبير، وهما من ذات المشهد الجانبي (Sideview) في التصميم. ٣- الدُّمية الثالثة (ل١- ج: ٣): نصفية الشكل، وعلى الرغم من عدم وجود الجزء الأسفل منها، والكتفين البارزتين اللتين تشيران إلى الثديين؛ فإن تصميمها العام يشير إلى أنها أنثى، وليست ذكرًا.

٤- الدُّمية الخامسة (ل١- ج: ٥؛ ل٣: ١٩) تمثل فتاة رشيقة القوام أفرِد رأسها بفتحتين متقابلتين فصارت هاتان الفتحتان تمثلان الرقبة، لكن بشكل أطول من رقاب الدُّمى الأخرى التي تُعدُّ من سمات الجمال فيها، وقسّم باقي الجسد فيها إلى جزأين من خلال فتحتين أخريين متقابلتين قرب المنتصف، فصارت هاتان الفتحتان تمثلان الخصر، وبشكل عميق يشير إلى ضيق هذا الخصر لتؤكد سمات الأنوثة أكثر من غيرها، مع أن هذا سعة هذا الخصر عريضة نسبيًا مقارنة بغيرها، كأنه على شكل حزام، وفي الجزء العلوي من الخصر يقع الصدر، وفيه منكبان جانبيان بارزان بالقرب من الرقبة، يمثلان الكتفين، ويشيران في الوقت نفسه إلى اليدين، والثديين، مع أن أحد هذين البروزين الواقع في الصدر أو (المقدَّمة) يشير

إلى الثديين أكثر من بروز اليدين والكتفين. هذه الدُّمية يوجد في رأسها بروزان صغيران أحدهما متجه إلى اليسار كأنه يشير إلى الوجه، والآخر متجه إلى اليمين وهو أصغر من البروز الأول يشير إلى الجهة الخلفية من الرأس، كما تتميز هذه الأنثى بهامة مرتفعة نسبيًا مقوسة الشكل. إضافة إلى ذلك فإن التصميم العام لهذه الدُّمية أظهَرها بشكل كامل باستثناء الأقدام، ويشير شكلها العام إلى أنَّ هذه الأنثى المجسّدة في هذه الدّمية ترتدي فستانًا طويلًا يغطي جسمها بالكامل بما في ذلك القدمين، وبشكل يتناسب مع قوامها النحيل، وعلى خصرها، فيما يبدو، أنه حزام.

٥- الدُّمية السادسة (ل١-ج: ٦) كأنها ممتلئة الجسم نسبيًا، مقارنة بتلك الدّمية المجسّدة للفتاة الرشيقة، وذات الرأس المستدير الشكل، والذي أفرد بفتحتين ضيّقتين متقابلتين، فصارت هاتان الفتحتان تمثلان العنق. أمّا الجزء الأسفل من الجسد مما يلي الخصر فقد تميّز بشكل أوسع من الجزء العلوي من هذا الجسد وبدون ساقين. أمَّا الخصر فضيّق الشكل، صُمّم بفتحتين ضيّقتين متقابلتين. هذا الشكل يدل على أنَّ هذه الدُّمية هي لأنثى بشرية ترتدي لباسًا قصيرًا بهذا الطراز. وهذا النوع من الملابس القصيرة وجِدَ في الفن الصخري في الجزيرة العربية، منها على سبيل المثال إلهة الحرب والسلام، أو (حسينة) نجران، وقائدة جيوشه ذات السيقان الطويلة الممرّدة، والملبس القصير، والحذاء الملكي البديع...إلخ، التي قد تكون ملكة من ملكات اليمن القديم الموجودة بجوارها عازفة القيثارة الشهيرة، وأخرى تجسّد القمر (سِين) أحد آلهة اليمن القديم[٢٥]. ٦- الدُّمية السابعة (ل١-ج: ٧؛ ل٤- ب: ٦) تمثل أنثى ممتلئة الجسم، أفرِدت الرقبة بفتحتين متقابلتين، وقسِّم باقي الجسد إلى جزأين من خلال فتحتين أخريين متقابلتين قرب المنتصف، فصارت هاتان الفتحتان تمثلان الخصر، وبشكل ضيق، لتأكيد سمة الأنوثة، وفي الجزء العلوي مما يلي الخصر يقع الصدر، وفيه منكبان جانبيان بارزان في الأعلى، بالقرب من الرقبة، يمثلان الكتفين ويشيران في الوقت نفسه إلى اليدين، أو (إلى الثديين أكثر من اليدين). أما الجزء الأسفل من الجسم مما يلي الخصر فقد صُمّم على شكل إهليجي عريض الشكل يشير إلى الحوض بما في ذلك الأرداف، خاصة من خلال ذينك البروزين الصغيرين المنحنيين من الجانبين الأيمن والأيسر اللذين أتيا بعد الخصر مباشرة، إضافة إلى ذلك فإن التصميم الكلي لهذا النوع يشير إلى سمات الأنوثة بشكل كبير، وهي من الإناث المتهيئات لعملية التخصيب (A fertile woman)، ومن ذات المنظور الأمامي (المقابل) (front view).

٧- الدُّمية الثامنة (ل١-ج: ٨) تنطبق عليها هذه المواصفات الأنثوية التي اتسمت بها الدُّمية السابعة سالفة الوصف مع اختلاف في الحجم بينهما، وبعض التفاصيل الجزئية البسيطة، فهي من الدُّمى شبه الكاملة، وتتميز عن سابقاتها في أنها تمثل الجهة الخلفية من الأنثى، وليست الجهة الأمامية بحسب ترجيحنا بدليل عدم بروز الكتفين اللتين تشيران إلى الثديين، وعدم وجود أي إضافات (بروزات) أخرى على جسمها، لكن ما يؤكد أنوثتها أكثر من غيرها الشكل العريض العام (الممتلئ)، والخصر الضيق من خلال تينك الفتحتين المتقابلتين في المنطقة الوسطى من الجسم، والجزء الأسفل الإهليجي العريض الشكل والدال على منطقة الحوض، إضافة إلى الشكلين المنحنيين (المقوسين) البارزين إلى الخارج قليلًا من الجانبين الأيمن والأيسر واللذين يَلِيَان الخصر مباشرة ويدلان على الأرداف، علاوة على التناسق بين الجزء العلوي من الجسم والجزء

الأسفل منه، إضافة إلى التصميم العام الذي يؤكد سمات الأنوثة، الدال على الانسجام بين الأعضاء التشريحية الرئيسة للجسد، وعلى أنها من الإناث المتهيئات لعملية التخصيب. ٨- الدميتان ١٠، ١١ (ل١-ج: ١٠ -١١) تعدان من نوع الدُّمية الثامنة سالفة الوصف، على الرغم من أنهما غير نموذجيتين مقارنة بالدُّمية الثامنة، إضافة إلى أن رأسيهما مكسوران.

٩- أمّا الدُّمية الحادية عشرة، والأخيرة في هذه المجموعة التي أضفناها نحن إلى هذه اللوحة تحت الرقم ١٢ (ل١-ج: ١٢)، وذكرنا فيما سلف أنَّ الذين سجلوا هذه المصنوعات في موقع خريصان، وصنّفوها شطائر حجرية من ذات الفتحتين المتقابلتين المزدوجتين في نطاق أدوات الصيد لم يعيدوا نشر هذه الصنعة بالذات ضمن هذه المجموعة التي تضمنها المقال المنشور في عام ٢٠١٩م (Borrell et. al. 2019) لعدم أهميتها من وجهة نظرهم بسبب عدم وجود هذه الفتحات فيها، لكن رأينا نحن أن هذه الصنعة صمّمت بطريقة خاصة تشير إلى أنها دمية أنثوية، على الرغم من عدم إفراد الخصر فيها بفتحتين متقابلتين، والبروزين الجانبيين المشيرين إلى الثديين، مثل باقي الدُّمى الأنثوية الأخرى سالفة الوصف، لكن تصميمها العام يشير إلى أنثويتها، بما في ذلك هامة رأسها المنتصبة إلى الأعلى لتؤكد الأنوثة كذلك، وتشير إلى وجود شعر طويل على رأسها، كأنه مُلملم، ومعُصوب في هذه المنطقة. أضف إلى ذلك أن هذا التصميم يشير إلى أن هذه الأنثى ترتدي لباسًا طويلًا يغطي جسدها إلى القدمين، وهذا في مجمله منحها وقارًا، وقدسية خاصة، مقارنة بالدّمى الأنثوية الأخرى، فصارت كأنها أنثى متنسكة (عابدة)، أو (إلهة)، أو (راهبة)، خاصة أنه لا يظهر فيها أي عضو من الأعضاء الأخرى الموحية أكثر للأنوثة، كالخصر، والثديين، مقارنة بالدُّمى الأنثوية آنفة الوصف.

جميع هذه الدُّمى أتت كأنها ترتدي ملابس طويلة، باستثناء تلك الدُّمية الوحيدة ذات اللباس القصير (ل١- ج: ٦)، رغم أن الدُّمى النصفية (ل١- ج: ٣) يصعب الحديث عن طبيعة ملابسها. فالحديث عن الملابس وأنواعها بشكل عام يُعدُّ حديثًا نسبيًا إلى حد كبير، فقد استدللنا على وجوده من خلال بعض المظاهر الثانوية، كان ذلك من خلال الدُّمية التي وصفناها لفتاة رشيقة (ل١: ٥؛ ل٣: ١٩)؛ إذ أُظهِرت كأنها ترتدي حزامًا على خصرها، استنادًا إلى سعة هذا الخصر، مقارنة بخصر الدُّمى الأخريات (ل١- ج: ٦- ٨)، ويقود هذا إلى احتمال وجود لباس طويل فيها، إضافة إلى مقارنتها وغيرها بتلك الدُّمية ذات الملبس القصير (ل١- ج: ٦). هذه الظواهر مع بعضها ساعدت في التكهن بوجود لباس على هاتين الدميتين، وفي الأنواع الأخرى، إضافة إلى أن القدمين لم يتم إظهارهما في جميع هذه الدُّمى، وهذا جعلنا نعتقد أن هذا اللباس في هذه الدُّمى كان طويلًا يغطي القدمين، مقارنة بالدُّمى الروسية التي قاد فيها ظهور القدمين إلى احتمال وجود ملابس طويلة تصل إلى أعلى القدمين (ل٣: ١- ١٣).

ومن الإيحاءات الأخرى الكثيرة التي يمكن قراءتها في هذه الدُّمى إضافة إلى ما سلف ذكره، أن الخصر في الدُّمية الممثلة لتلك الفتاة الرشيقة آنفة الوصف (ل٣: ١٩) جعل الاعتقاد واردًا في أن مجتمع ذلك العصر كان قد عرف الحليّ إلى جانب الملابس والحياكة، إضافة إلى التذوق، والجمال، وطريقة المُلَاءمة بين أنواع الملابس، وتصاميمها مع طبيعة الشخص وجنسه، وتقاسيم جسده التشريحية، وإن في هذه المجتمعات وجدت أعراف، وعادات، وتقاليد، منها ارتداء الملابس الطويلة للذكور، والإناث على حد سواء، إضافة إلى الملابس الفضفاضة في حالات الحمل، والملابس الطويلة في حالة العبادة (ل٤:ب: ٥)، والقصيرة في الحالات الخاصة، بين فئة الشابات، أو «المراهقات» (ل١-ج: ٦)، إضافة إلى وجود مهارات متعددة. الجدير

ذكره أن الأشكال الأنثوية المصنوعة من الطين في هذا العصر (ل٥: ١٨- ٢٠)، ومن العظام في الحجري القديم الأعلى لا ملابس لها في الغالب (ل٥: ١- ٤)، باستثناء بعض الأشكال الدالة على ارتداء الملابس في سيبيريا (ل٥: ٥)، مع أن هناك معطيات أثرية كثيرة تدل على أن اللباس من جلد الحيوان كان قد وجد في العصر الحجري القديم الأعلى.

التفسير الوظيفي لدُمى الصوان في الجزيرة العربية والشام

من الأسئلة التي يمكن طرحها عن وظائف هذه الدُّمى: هل كانت تستخدم في شعائر جنائزية؟ وهل كانت تدفن مع الموتى أم أنها كانت تستخدم في وظائف أخرى؟ يرتبط السؤالان الأول والثاني بالدُّمى السبع التي وجدت في مدافن الأموات في روسيا الاتحادية سالفة الذكر (Zimina 1992, Studzitskaya 1994, Utkin & Kostyleva 1996) إضافة إلى الدُّمية الفخارية التي وجدت مع الطفل الرضيع في قبر واحد في الصنيميات في دومة الجندل (ل٨: ٣)، والدُّمية الحجرية التي وجدت في رَاوِك في اليمن في قبر مع الرضيع وشخص ثالث (ل٨: ٢)، إلى جانب الدُّمية المصرية الذكورية التي وجدت في قبر هي الأخرى (لوحة٧: ١)، والدُّمى الذكورية التي وجدت في معبد الثعبان ذي الريش في المكسيك (ل٦) ووجدت جميعها في مقابر، ومع ذلك فإن دمى الجزيرة العربية والشام، بالقدر الذي يمكن أن تكون لشعائر جنائزية، بالقدر نفسه يمكن أن تكون لأفكار عقائدية أخرى بسبب عدم وجود أدلة مباشرة على ربطها بمقابر الموتى[٢٦]. والوضع نفسه مع أغلب الدُّمى في روسيا الاتحادية (ل٢، ٣؛ ل٤- أ)، وغيرها من هذه الدُّمى التي لم توجد في مقابر الموتى. مع أنَّه من المرجّح أن دُمى الثُّمامة عند الصيادين والجامعين للقوت كانت تقوم بمقام التميثيلات الفخارية التي تمثل الإلهة الأم في المجتمعات الزراعية المجاورة، فالإلهة الأم ألقت بظلالها على مجتمعات الزراعة، ومجتمعات الصيد وجامعي القوت التي عاشت في تلك الفترة.

من الأسئلة الأخرى الكثيرة التي يمكن أن تطرح حول وظائف هذه الدُّمى المنبثقة من السؤال الثالث سالف الذكر: هل استخدمت في التعويذات، والسحر، وجلب الحظ، ودرء العين الشريرة، والحسد، والأخطار، وطرد الأرواح الشريرة...إلخ أم أنها استخدمت على شكل قرابين أو نذور، أو رموز للآلهة؟ وأسئلة أخرى يصعب الإجابة عنها بشكل مؤكد في ظل هذه المعطيات الراهنة. لكن ما يمكن قوله إن هذه الدُّمى الحجرية استخدمت في أغراض عقائدية، وأنها تتألف من ذكور، وإناث، وأن عدد الذكور يكاد لا يذكر مقارنة بعدد الإناث في العالم القديم، إضافة إلى أنَّ الدمى الأنثوية الحاملات وسط دُمى خريصان يمثلن الإلهة الأم، بما في ذلك في روسيا الاتحادية (ل٤- ب: ١-٤؛ ل٣: ١٨) على قلّة عددها، وبعضها تشير إلى الإخصاب (ل١- ج: ٧، ٨؛ ل٤- ب: ٦- ٧)، وأخرى تدل على الرشاقة، والجمال (ل١- ج: ٥؛ ل٣: ١٩)، وإناث عابدات فيما يبدو (ل٤- ب: ٥)، وأن الأشكال الأنثوية أينما وجدت على صلة بالفكر العقائدي المرتبط بالإلهة الأم من حيث المبدأ، وأغلبها ترتدي ملابس طويلة، وليست عارية، بما في ذلك الذكر الوحيد الذي وجد في موقع خريصان، وأن هذا التنوع الذي وجد وسط دُمى موقع خريصان، وروسيا الاتحادية قد يشير إلى تنوع وظائف هذه الدُّمى، لكن في نطاق الفكر العقائدي آنف الذكر، حتى وإن كانت قد انحصرت في وظائف عقائدية محدودة. هذا الفكر العقائدي الذي ظهر في العصر الحجري الحديث، تعددت أشكاله، وصار فلسفة عامة لفهم الحياة بأكملها، وإليه تشير هذه الدُّمى الصوانية، خاصة الأنثوية، التي تعدُّ مصدرًا مهمًا من مصادر فهمه، وفهم ثقافة هذا العصر. أضف إلى ذلك أن التنوع في أشكال هذه الدُّمى التي وردت في هذا البحث على مستوى العالم قد يشير إلى أنها استخدمت في أغراض مختلفة بحسب نوعيتها، وأشكالها، وأماكن العثور عليها، ومعتقدات أصحابها، وبحسب الفترة الزمنية التي وجدت فيها. ولا نستبعد أن معبودات أو (دُمى) الثمامة الأنثوية كانت تعلَّق من أطرافها العلوية بخيط على الملابس، أو تُلبس على الرقبة من خلال خيط على شكل قلادة، استنادًا إلى سمات الطرف العلوي في

هذه الدُّمى (المعبودات) (ل١-ب: ٢٧، ٢٨، ل١- د: ٢-٤)، بما في ذلك الشكلان اللذان نرجح أنهما لذكرين في كل من الثمامة (ل١- د: ٦)، والخماسين (ل١- د: ٥) واللذان كانا يُربطان بخيط في القاعدة، حيث الفتحتين المتقابلتين (ل١-ب: ٢٩، ٣٠)، ويعلّقان على الملابس، أو يُلبسان على شكل قلادة على الرقبة بواسطة خيط كذلك فيما يبدو لنا، لأغراض عقائدية، كتعويذات، وجلب الحظ، ودرء العين الشريرة، وغيرها من الأمور العقائدية الأخرى آنفة الذكر، وهذه الأشكال البشرية لم تسجل في مناطق أخرى من الجزيرة العربية بعد.

تفوّق عدد الدُّمى الأنثوية عن الذكورية في العصرين الحجريين الحديث والقديم الأعلى

بلغ عدد الدُّمى الحجرية التي شملتها إحصائية هذا البحث ١٤٥ دمية بشرية، وحيوانية، وأسطورية، منها ٨٤ دمية في روسيا الاتحادية (ل٢- ٤، ش١- ٢، ٤): ٥٥ دُمية بشرية، و٢٥ دُمية حيوانية، و٧ دُمى أسطورية. ٢٦ دُمية بشرية من الثمامة والخماسين في الجزيرة العربية (ل١-أ، ب)، و٢٢ دمية بشرية من خريصان في الأردن، وأكرر أن صور ورسوم ما نشر من هذا الموقع حتى عام ٢٠١٩م بلغ ١٢ دمية فقط (إحداها مكررة كما سلف الذكر) (ل١- ج)، وهو العدد الذي أخذناه ضمن هذه العملية الإحصائية، و٢٣ دمية من مصر (ل٧، ش٣) منها ٢٢ دمية حيوانية، ودمية وحيدة بشرية. أما الدُّمى الحجرية من أمريكا التي وردت في هذا البحث فلم تدرج ضمن هذه العملية الإحصائية لأنها حديثة في الغالب ترجع إلى التاريخ الميلادي. بلغ عدد الدُّمى البشرية ٩١ دمية، وعدد الإناث ٧١ دمية، بنسبة قدرها ٤٩٪، وعدد الذكور ٢٠ دمية، بنسبة قدرها ١٤٪ (ج١). فالدُّمى الذكورية تندر في المراحل المبكّرة من العصر الحجري الحديث، ويزيد عددها في المراحل المتأخرة من هذا العصر وما بعده، على عكس الدُّمى الأنثوية التي يزيد عددها في المراحل المبكّرة من العصر المذكور، ويتناقص عددها بالتدريج في المراحل المتأخرة من هذا العصر وما بعده. فقد بلغ عدد الذكور في العصر الحجري الحديث في موقعي الثمامة، والخُماسين ذكرين فقط، وآدميتهما غير مؤكدة بشكل قاطع كما سلف الذكر، وهما من مجموع ٢٦ دمية بشرية، إضافة إلى ذكر واحد في موقع خريصان من مجموع ١١ دمية (ج١)، وفي روسيا الاتحادية بلغ عدد الذكور نحو ١٦ دمية، إضافة إلى عدد كبير للحيوانات، لأن تاريخ هذه الدُّمى في روسيا الاتحادية متأخر مقارنة بالجزيرة العربية والشام، والأمر نفسه في مصر، حيث لا توجد سوى دمية بشرية ذكورية وحيدة، وعلى العكس من ذلك في أمريكا، حيث لم تعرف حتى الآن سوى دمية أنثوية بشرية وحيدة (ل٧: ٣٥)، وإن وجدت أخرى غيرها فستكون نادرة لأن هذه الدُّمى فيها ظهرت متأخرة زمنيًا، أغلبها ترجع إلى عصر الكتابة، ولهذا التفاوت بين الدمى الأنثوية والذكورية، إضافة إلى ظهور دُمى الحيوانات، والطيور الصوانية، والمركبة منذ حوالي العصر الحجري الحديث المتأخر، وما بعده (ش١- ٣، ل٣: ٩- ١٥، ل٧)، وزيادة نسبتها في الفترات المتأخرة (ج١) أسرار سيأتي الحديث عنها في مكانه من هذا البحث.

المصدر الآخر الذي يفيد تفوق عدد الإناث عن عدد الذكور، وجود هذه الدمى في مدافن الأموات، رغم ندرتها، فقد سجلت في روسيا الاتحادية سبع دُمى كما سلف، ٥ منها بنسبة ٧٢٪ أنثوية، ودمية وحيدة يحتمل أنها ذكورية، نسبتها ١٤٪، وأخرى مركبة لدب مع شكل آدمي، نسبتها ١٤٪ (ش٤). إضافة إلى دُميتي الصنيميات، ورَاوِك الأنثيين. وبصرف النظر عن أن هذه النسب التي ستتغير بتغير الأرقام الداخلة في العمليات الإحصائية المختلفة من وقت لآخر فإن هذه النسبة قدّمت مؤشرًا سيظل ثابتًا لتفوق عدد الإناث بشكل كبير عن عدد الذكور في المراحل المبكرة، منذ العصر الحجري الحديث المبكّر، وزيادة عدد الدُّمى الذكورية في المراحل المتأخرة، إضافة إلى ظهور دمى الحيوان والطيور والدمى الأسطورية منذ حوالي نهاية العصر الحجري الحديث، والعصر الحجري النحاسي. الجدير ذكره أن هذه النسبة المرتفعة لعدد الإناث في مدافن الموتى، مقارنة بالدُّمى الذكورية، رغم ندرة هذه الدُّمى التي وجدت في هذا المدافن في العالم القديم

بشكل عام، ليس مؤشرًا على كثرة عدد وفيات الإناث، مقارنة بالذكور بل لأشياء أخرى مرتبطة بوظيفة هذه الدُّمى.

إن زيادة نسبة الإناث بشكل كبير وسط هذه الدُّمى الحجرية يتجاوب إلى حد بعيد مع انتشار الإناث المصنوعة من الفخار (ل٥: ١٧- ٢١) التي سجلت في مناطق كثيرة من العالم في الحجري الحديث، من أشهرها تُميثيل شَاتَال (كَاتَال) هيوك في الأناضول الإلهة الأم (ل٥: ٢١) (Mellaart 1967)، وأخرى غيرها كثيرة انتشرت في الشرق الأدنى القديم بين حوالي ٧٠٠٠- ٦٠٠٠ سنة ق. م (Becker et. al., 2019)، والعالم بشكل عام، من أكثرها شهرة معبودات ثقافة حَلَف (ل٥: ١٩) في سوريا والعراق[٢٧]، واستمرت هذه المعبودات الفخارية إلى ما بعد هذا التاريخ في مصر (Relke 2011)، والسودان (Haaland, Haaland 2016) (صادق ٢٠١٨) وأماكن أخرى.

قراءة في شكل دُمى الصوان البشرية

تُعدُّ قراءة الشكل في دُمى الصوان لمن تمثلهم في الواقع أمرًا نسبيًا إلى حد كبير، لصعوبات هذا الجانب الكبيرة، لكن بحسب الإمكانية المتاحة، إضافة إلى ما سلف ذكره في الوصف والتصنيف، فإن ما يمكن قوله ما يلي: جرى تمييز الإناث عن الذكور في الأشكال البشرية، مع تحديد تفاصيلها الشكلية (ل١- ٤)، وعناصر الأنوثة، كالثديين، والخصر، والحوض، والأرداف (ل٤-ب: ٦- ٧)، ناهيك عن تمييز الأشكال البشرية (ل٣: ١- ٢٢، ٢٨) عن الحيوانية (ل٧، ش١- ٣)، والأسطورية (ل٣: ٢٩- ٣٤)، ومُيّزت الإناث الناسكات (ل٤-ب: ٥)، والحاملات (ل٤- ب: ١- ٤؛ ل٣: ١٨) عن غيرها (ل٤- ب: ٦، ٧، ل٣: ١- ٢٠)، وفترات الحمل النسبية (ل٤-ب: ١- ٤). فقد وصفت الأنثيان الحاملتان في موقع خريصان بأنهما متقدمتان في الحمل (ل٤- ب: ١- ٣)، مقارنة بالأنثيين الحاملتين في روسيا (ل٣: ١٨، ل٤-ب: ٤)، ومميّزت الإناث المتهيئات للتخصيب (ل٤- ب: ٦، ٧) عن غيرها، وأنواع الملابس، الطويلة (ل٣: ١- ١٣، ١٩، ٢٨)، والقصيرة (ل١-ج: ٦)، والفضفاضة (ل٤- ب: ١- ٤)، وعناصر الزخرفة (ل٣: ١٩، ٢٨، ل٤-ب: ٤)، ومن خلال هذه الملابس ميّزت بصورة احتمالية البيئة الباردة (ل٤-أ: ٤؛ ل٣: ١- ١٨) عن الدافئة (ل٤- ب: ١- ٤؛ ل١-ج: ٦)، والحركة في بعض الدُّمى (ل٣: ٥، ٢٥، ٢٩)... إلخ، ومن خلال هذه الدُّمى ميّزت مجتمعات الصيد (ل١- أ: ١- ٢٤) (ل٣: ١- ١٨) عن مجتمعات الزراعة (ل١- ج). فيما يتعلق بالعُمر يمكن تمييز أربع فئات عُمْرية نسبية إلى حد كبير: فئة متقدّمة في السن كالأنثيين الحاملتين في خريصان (ل٤-ب: ١- ٣)، ودُمى أنثوية متوسطة العُمر تمثل الفئة السائدة وسط دُمى الصوان، بما في ذلك فئة الشباب التي يصعب الفصل بينها وبين الفئة الوسطية في العُمر، منها الدُّمية الأنثوية الرشيقة على سبيل المثال (ل٣: ١٩) وأخرى غيرها (ل٣: ١- ١٣)، والفئة الرابعة فئة المراهقين (ل١- ج: ٦؛ ل٣: ٩)، إضافة إلى صغار السن (ل٣: ١٥، ٢٣، ٢٤). وعلى الرغم من هذا التقسيم النسبي إلى حد بعيد لهذه الفئات العُمرية من خلال الحجم وبعض العناصر التشريحية، فإن الفئة المتقدمة في السن، والمتوسطة، والشباب توحي جميعها بالنضوج الفكري لمن تمثلهم هذه الدُّمى في الواقع.

قراءة في الفكر والوجدان وعلاقتها بنظام الأمومة من خلال إيحاء دُمى الصوان البشرية

إنَّ قراءة الباطن (الروح/ أو الوجدان)، والفكر من خلال إيحاءات هذه الدُّمى الحجرية لمن تمثلهم في الواقع أمر أصعب بكثير من قراءة العُمر والشكل سالفي الوصف، وقد يُعدُّ هذا الأمر إسقاطًا ذاتيًا بسبب الشكل التخطيطي المفرط لهذه الدُّمى، وعدم وجود الأطراف في كثير منها، وتقاسيم الجسم التشريحية، والأهم من ذلك عدم وجود الوجه، وعناصره التشريحية التي قد تعكس جزءًا من روح الإنسان ومشاعره الداخلية أكثر من غيرها. هذا الأمر يصعب قراءته في الإنسان الحي نفسه (Campbell 2020) فكيف بقراءته فيمن سبقونا بآلاف السنين، من خلال هذه الدُّمى الحجرية، ناهيك عن صعوبة السَّفر من الحاضر إلى ذلك الزمن البعيد

بفكر خال مما نحن فيه اليوم، والدخول إلى عقول أولئك الناس، وأفكارهم، وأرواحهم لمعرفة الخبر اليقين عمّا كانوا عليه، من خلال هذه الدُّمى، وحتى من خلال الظواهر الأثرية الأخرى. هذه الصعوبة موجودة في غانيات (فينوس) (زُهرات) العصر الحجري القديم الأعلى (ل٥: ١- ٥)، ومعبودات العصر الحجري الحديث الفخارية (ل٥: ١٧- ٢١)، مع أن هاتين الأخيرتين نعدهما من الفنون الواقعية، مقارنة بالدُّمى الحجرية. ويمكن القول باطمئنان إنَّ قراءة مشاعر البشر وأفكارهم من خلال إيحاءات الفن الواقعي أهون بكثير من قراءتها في هذه الدُّمى الحجرية، ليس هذا، وحسب، بل إن قراءة الفكر، والمشاعر في الفنون الواقعية، قد تكون أسهل من قراءة إيحاءات البشر أنفسهم المعاصرين في حالات كثيرة لأن الأشكال الواقعية تظل محتفظة بما ضمَّنه الفنان فيها من إيحاءات خلال عملية تشكيلها، ولا تتغيّر مقارنة بالبشر الأحياء الذين يستطيعون تغيير مشاعرهم الحقيقية، بمشاعر أخرى لا تعكس الحقيقة؛ لذلك حاول الإنسان ابتكار طُرق مساعدة لكشفها كالعرافين، والمنجمين، والكهنة، والتخويف بالقوى الغيبية، وتأنيب الضمير، وأخيرًا بالأجهزة الاصطناعية، وطرق التحقيق المتقدم، فكيف بالحديث عن هذه الدُّمى الحجرية والآثار بشكل عام؟! أضف إلى ذلك أن هذه القراءات الإيحائية النسبية في هذه الدُّمى والفنون الأخرى هي قراءة فردية لصنَّاع تلك الدُّمى في الغالب؛ قد لا تعبّر عن المجتمع بأكمله، وإن كانت تعكس جزءًا واسعًا من أفراده؛ حتى نوع الجنس الذي قام بصناعة كثير من هذه الفنون قد لا تُعرف هويته من خلالها. أضف إلى ذلك أن الأنثى التي جُسِّدت كثيرًا في هذه الدُّمى الحجرية، والفخارية، والعظمية، هل كانت على ذلك الحال نفسه الذي جُسِّدت فيه أم أن تلك التفاصيل كانت بمنظور صانع هذه الفنون الذي قد يكون ذكرًا، وليس أنثى. ثمة عدد من المحاولات لقراءة الإيحاءات الموجودة في غانيات العصر الحجري القديم الأعلى باستخدام طرق حديثة، وإقامة التجارب على فئات من البشر المعاصرين، وبخاصة الإناث، للمقارنة بينها وبين تلك الغانيات، وقياس مناطق محددة في الجسم، كالخصر، والثديين، والأفخاذ..إلخ، والاستعانة بعلوم كثيرة (Dixson, Dixson 2011) وقراءة في الشكل الخارجي لهذه التميثيلات (Bailey 2005)، وعلى الرغم من ذلك، فإن نتائجها ما تزال محدودة للغاية (Schebesch 2013).

وبصرف النظر عن هذه الصعوبات، والتعقيدات، وما تتضمنه هذه القراءات من مستويات نسبية للحقيقة، فإنه بفضل تصنيف هذه الدُّمى الحجرية بحسب الجنس في هذا البحث، عرفنا وجود معتقدات دينية عند المجتمعات التي صنعتها استنادًا إلى الكم الكبير للدمى المؤنثة مقارنة بالدُّمى المذكرة (ج١)، وأوضاع الإناث التي عبّرت عنها هذه الدُّمى (ل١- ٤)، وبخاصة الحاملات (ل٤- ب: ١- ٤)، والمتهيئات للتخصيب، والناسكات (ل٤- ب: ٥)... إلخ، وإن هذا الفكر العقائدي كان مرتبطًا بالزراعة مثل دُمى الشام (ل١- ج)، وأخرى مرتبطة بالصيد والجمع مثل دُمى الجزيرة العربية (ل١-أ)، والدُّمى الروسية (ل٢، ٣، ٤-أ)، وأنَّ الأنثى كانت تحتل في هذه العقيدة مرتبة الصدارة في مجتمعات الزراعة مقارنة بالدُّمى الذكورية، وأنَّ سِعة الحوض في هذه الدُّمى، وكبر الأرداف تشير إلى الخصوبة (ل١- ج: ٨؛ ٣: ٤، ١٠، ١٢) وهناك إيحاءات من خلال أشكال هذه الدمى وملابسها إلى أخلاق المجتمع، وعاداته، وتقاليده، والسلوك العام، وأن الدُّمى الأنثوية الحاملة لا تشير إلى الحمل نفسه بقدر ما تشير إلى رمزية الأم الكبرى (الإلهة الأم) (ل١-ج: ١، ٢، ٤؛ ل٣: ١٨؛ ل٤- ب: ٤)، ودورها في الحياة بشكل عام، بما في ذلك الفكر والعقيدة. أضف إلى ذلك أن ملابس هذه الدُّمى وأنواعها تضمّنت دلالات اقتصادية واجتماعية، وجمالية، وخلقية، وإيماءات إلى المُناخ، والبيئة، ومن خلال هذه الدُّمى عُرف جزء من المشهد الفكري العام، وفلسفته في العصر الحجري الحديث، وعلاقته بما قبله، ودلالات رمزية للخير، والحيوية، والشباب، والأمل...إلخ..

لقد كانت العقيدة تمثل الحياة عامة بخيرها، وشرها مجسّدة في الإلهة الأم آنذاك، التي مثلتها الأنثى في التميثيلات الفخارية، وهذه الدُّمى الصوانية، وبخاصة

الحاملات منها (ل٤- ب: ١- ٤؛ ل٣: ١٨) والمتهيئات للإخصاب، وعُـرف أن الفارق بين الدُّمى الصوانية العقائدية، والإلهة الفخارية، يتمثل في أنَّ الأولى أعِدَّت لوظائف محدودة يومية، يصحبها الإنسان معه، ويضعها في مأواه، ويستخدم بعضها في شعائره العقائدية، بما في ذلك الجنائزية فيما نرجح (ش٤، ل٦: ١- ٢٥؛ ل٧: ١، ل٨: ٢)، وكل ما سلف ذكره من وظائف أخرى محتملة لهذه الدُّمى الصوانية، فهي صغيرة الحجم، وخفيفة الوزن مناسبة للوظائف العقائدية اليومية كالتعويذات، وجلب الحظ، ودرء العين الشريرة، والحسد، وربما طرد الأرواح الشريرة، كما أن هذه الدُّمى كانت وسيلة رمزية، وحلقة وصل بين الإنسان، والإلهة الأم المجسَّدة أكثر بالأشكال الفخارية (ل٥: ١٧- ٢١)، والحجرية الكبيرة الحجم نسبيًا (ل٩ : ٣)، وعن الإلهة التجريدية التي تقف خلف جميع هذه الأشكال التي لا ترى بالعين، واستحضارها بهذه الدُّمى الصوانية العقائدية الصغيرة الحجم ذهنيًا، خلال الأنشطة اليومية الاعتيادية، وهذا كله يعكس وجدان الإنسان، وتفكيره، وسلوكه، وفلسفته لفهم الحياة بشكل عام.

من خلال هذه الدُّمى الصوانية، وإلهة العصر الحجري الحديث الفخارية (ل٥: ١٧- ٢١)، وغانيات العصر الحجري القديم الأعلى (ل٥: ١- ٥) عرف مكانة الأنثى في الفكر التجريدي العام، والعقائدي بشكل خاص، وأن هذه المكانة بلغت ذروتها في العصر الحجري الحديث، وعُرف أن هذه المكانة للأنثى لا تعني الحكم، والسلطة، بل خواص الأنثى الفيزيائية والروحية، ودورها العظيم في الإنجاب: حملًا، وولادة، ورضاعة، وتربية، وصبرًا، ومعاناة، إضافة إلى ما تختزنه في تكوينها من طاقة إيجابية، وقوة ناعمة، ممثلة بالليونة، والرحمة، والطمأنينة، والهدوء، وصفاء الذهن...إلخ، وهذه العوامل بمجملها تمنح السعادة، وتساعد على التفكير الخلاق، والإبداع، واستمرارية عجلة الحياة، إضافة إلى دور الأنثى في البنية الاقتصادية، وتنظيم شؤون الحياة بأعرافها، وتقاليدها، وأشكالها البسيطة.

وهناك ظاهرة مهمة عرفت من خلال هذه الدُّمى الحجرية، والإلهة الفخارية أن الأنثى شُخِّصت في العصر الحجري الحديث بهذه المواصفات في مجتمع الزراعة، وليس في مجتمع الرعي. أضف إلى ذلك أنَّ من خلال هذه الدُّمى الصوانية، والتميثيلات الفخارية، وغانيات العصر الحجري القديم الأعلى عرفت أسباب ودوافع بلوغ الأنثى مرتبة الألوهية، وأفولها، وظهور المعبود الذكوري، وتطور الفكر العقائدي بصورة عامة، من خلال أشكالها، وإيحاءاتها، وزيادة أعدادها في العصر الحجري الحديث المبكر، وقلّة هذا العدد بالتدريج منذ حوالي العصر الحجري الحديث المتأخر (ج١) إلى أن اختفت بصورة شبه تامة في عهد الحضارة (المعمري: تحت الطبع٢).

هناك مَن يرى أن الإلهة التي تمثلت بالأنثى ليست أنثى الإنسان وحده، بل وأنثى الحيوان، ومنها إناث الطيور والزواحف، إضافة إلى إناث النبات (Neumann 2015)، وأنَّ التعابير التي يمكن قراءتها في الأشكال المجسدة للأنثى تعكس العلاقة الجدلية بين المجهول، أو (اللاوعي) الذي كان يرمز له بالأم، والوعي المتنامي الذي كان يرمز له بالمولود، سواء عند الإنسان أو الحيوان. لكن، ومهما يكن هذا الأمر، فإن أنثى البشر كانت في واقع الأمر هي النموذج الأول والأسمى، وإنَّ هذا المجهول، أو (اللاوعي) كان يُرمز له بالأم الكبرى البشرية (الإلهة الأم) (ل٥: ٢١) وليس بغيرها، والوعي المتنامي الذي كان يرمز له بالمولود، كان يرمز له بالمولود البشري المرتبط وجوده بهذه الأم البشرية (ل٥: ١٧- أ)، فالإلهة عرفت بهيئة الأم الأنثى البشرية، وليس بغيرها، ليس هذا وحسب، بل إن معرفة معنى الأنثى بشكل عام في عالم الحيوان، والنبات، والجماد تحققت من خلال معرفة الأنثى البشرية أولًا، على اعتبار أنَّ هذا التفكير والمعرفة بشكل عام مرتبطان بالإنسان نفسه لا بغيره، بما في ذلك التفكير المجرد، ثم انتقلت معرفة الأنثى البشرية إلى معرفة الأنثى في عالم الأحياء الأخرى، والجماد، ومن هذه العوالم غير البشرية أخِذت بعد ذلك الصور التشبيهية للأنثى البشرية نفسها، وليس لغيرها كذلك كالشمس، والقمر، والزُّهرَة...إلخ من عالم الجماد مثلًا، بعد أنْ كان الإنسان نفسه قد أنَّثَ كثيرًا من هذه الظواهر الجامدة

مجازًا، بفضل معنى الأنثى البشرية التي أدركها منذ وقت مبكّر، وذكّر بعضها الآخر، ومن النبات مثلًا أخذ الشجرة شبهًا للأنثى، لما فيها من صور بليغة مشابهة بتقديم الخير، والعطاء، وصارت جميع الأشجار تحمل هذا الاسم المؤنث (شجرة) في لغات شعوب كثيرة في العالم، على الرغم من أن الأشجار تتألف من مذكر ومؤنث بواقعها الطبيعي. فالإله جُسِّد أول مرة بالأنثى البشرية منذ العصر الحجري القديم الأعلى وصار مؤنثًا إلى أن حلَّ المعبود الذكوري محل المعبودة الأنثوية، بدءًا من حوالي العصر الحجري النحاسي، وحمل هذا الإله صفات الأنثى، ليست الفيزيائية والبيولوجية وحسب التي جُسدَّ كثير منها في تماثيلها المصنوعة من الفخار، والحجر، والمواد العضوية، بل وبعالمها الروحي في الوقت نفسه. فقد جسّدت هذه الإلهة في أنها رحيمة وقاسية، مخيفة وراعية، راضية وغاضبة، بانية ومهدّمة...إلخ، سواء في صورها التجريدية، أو تماثيلها الفخارية (ل٥: ١٧– ٢١)، والحجرية (ل٩: ٣)، والمصنوعة من خامات أخرى، حتى قِيَم الإلهة ربطت بقيَم الأنثى البشرية قبل ظهور المعبود الذكوري. هذا الصفات بتفاصيلها تعكس عالم النفس البشرية عامة التي تختزن في أعماقها عالمًا من الأضداد الدالة على أن هذه الألوهية تُعدُّ نتاجًا بشريًا، وأنَّ هذه القِيَم تتغير بتغير البنية الاقتصادية، وما يتبعها من تغييرات في الحياة عامة.

يُنظر إلى التميثيلات الفخارية (ل٥: ١٧– ٢١) على أنها إناث ناضجات، وكذلك الدُّمى الصوانية (ل٥: ٧– ١٦)، مقارنة بغانيات العصر الحجري القديم الأعلى، والمقصود بالنضوج هنا ليس نضوج السن أو النضوج الجنسي، بقدر ما هو نضوج الفكر في المقام الأول، فأغلبها غير متقدمات في السن كثيرًا، لكنها على قدر من الوقار، على الرغم من أنَّ التميثيلات الفخارية الأنثوية المجسدة للإلهة الأم عاريات في الغالب (ل٥: ١٧ب– ٢٠)، والنادر منها في لِباس (ل٥: ٢١). إضافة إلى أن سمات الأنوثة، وأعضاء التأنيث أظهِرت فيها بأحجام كبيرة، أكبر مما كانت عليه في أشكال العصر الحجري القديم الأعلى الأنثوية، فقد ظهر الفخذان بحجم كبير، وسعة كبيرة للحوض، والصدر، والأَلْيَتَيْن، والأرداف (ل٥: ١٧ ب – ٢١)[٢٨]، إضافة إلى إبراز الثديين إلى الأمام، وبصورة ممتلئة وقوية (ل٥: ١٧ب، ١٩)، لكنها اتسمت باختفاء الجهاز الخارجي التناسلي مقارنة بغانيات العصر الحجري القديم الأعلى باستثناء عدد قليل منها شُخّص فيها هذا العضو في حالات المخاض (ش٧). وفي فترة متأخرة منذ حوالي نهاية ٤٠٠٠ وبداية ٣٠٠٠ سنة ق.م. (Gregory 2016: Fig. 6: e)[٢٩] (ل٥: ١٨) أصبحت هذه الأشكال تدل على أفول الإلهة الأم، بعد أن أخذت هذه الأشكال الأنثوية الفخارية تختفي بالتدريج عن المشهد العام؛ بسبب التلاشي التدريجي لعقيدة الزراعة التي كانت ممثلة بالإلهة الأم، والانتقال إلى فكر تجريدي آخر أوسع، ونمط معيشي غلب عليه التعدين، والصناعات الحرفية في المقام الأول، ومن نطاق البحث عن الإله في الإنسان نفسه، والأرض وظواهرها، إلى البحث عنه في السماء، وبخاصة في بعض الكواكب والنجوم، التي كان لها ارتباط بالزراعة، والتجارة وطرقها، والحياة اليومية، لكن بمنظور أوسع، وأعمق؛ إذ صار الفكر العقائدي يرى أن الأشياء كلها تعيش بأرواح أتت من الفضاء الخارجي، أي إن الآلهة أصبحت كالروح (Animizm) الموجودة في كل شيء (توحيد الوجود). فالإناث الفخارية التي أظهِر فيها الجهاز الخارجي التناسلي في العصر الحجري الحديث المبكّر تمثل حالات المخاض كما سلف الذكر، وهي نادرة العدد، أقدمها يعود إلى نحو ٦٣٠٠ ق.م. في مناطق بحر إيجة، وبخاصة في اليونان (Malone, Stoddart 2017)، وبعض مناطق أخرى من أوروبا (ل٩: ش٧) ظهرت في وقت متأخر نسبيًا، وهناك نوع آخر ظهر فيها هذا العضو في وقت متأخر كذلك يحمل في طياته إشارات إلى أفول الإلهة الأم، وهذا الأمر الأخير يجد له انعكاسًا في دُمى الصوان، من خلال تزايد عدد الدمى الذكورية، وتناقص الأنثوية كما سلف الذكر، إضافة إلى ظهور دمى الحيوان بما في ذلك الطيور (ج١). هناك تميثيل وحيد حجري أنثوي من هذا النوع في العصر

الحجري الحديث في الأناضول (Haddow 2015: Fig:1.1) (ل٩: ٣) يبدو أنها متهيئة لعملية التخصيب أو لقرب المخاض، وهذا الاحتمال الأخير ضعيف بسبب عدم بروز البطن. ومن أسباب ندرة الأشكال الفخارية ذات الجهاز التناسلي المكشوف في العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى مقارنة بأوروبا، أن الأشكال الأنثوية الفخارية في هذه المنطقة ظهرت في وقت مبكّر عندما كانت عقيدة الإلهة الأم عميقة، ومؤثرة في حياة الناس، مقارنة بأوروبا التي ظهرت فيها الإلهة الأم متأخرة نسبيًا. هذه الإلهة الأم أخذ أثرها يضمحل بالتدريج منذ حوالي العصر الحجري الحديث المتأخر إلى أن غربت شمسه بدءًا من حوالي العصر الحجري النحاسي، وبدأت تحل محلها بالتدريج تماثيل أنثوية أخرى بطراز جديد، ورمزيات مختلفة، يركز فيها على إظهار عنصر الأنوثة من أجل الإثارة، منها على سبيل المثال معبودات الحضارة المينوية على بحر إيجة في نهاية العصر البرونزي، والعصر الحديدي (Taylor 2019) في حوالي ١٦٠٠ سنة ق.م.[٣٠]، ومنذ حوالي الألف الثالث ق.م. انتشرت هذه الأشكال في الشرق بشكل عام، كالإلهة عشتار في الرافدين...إلخ، التي ظهرت كاشفة لجهازها التناسلي الخارجي، وعاشقة، مقارنة بمثيلاتها في العصر الحجري الحديث (ل٥: ١٧، ١٩– ٢١) بسبب التغير الاقتصادي الجديد الذي بدأ منذ حوالي العصر الحجري النحاسي، وساد في العصر البرونزي، وتبعته تغيرات في الحياة عامة.

إن بداية ظهور دُمى الصوان مثلت مرحلة انتقال من غانيات (زُهرات) العصر الحجري القديم الأعلى إلى معبودات العصر الحجري الحديث كما نرجح والتي صنعت من الطين، والجبس (ل٥: ١٧– ١٦)، ومن الفكر العقائدي المرتبط بتكاثر ذرية البشر، وحيوانات الصيد في العصر الحجري القديم الأعلى إلى الفكر العقائدي الجديد الأوسع المرتبط بالأرض، والزراعة في العصر الحجري الحديث، ومن الأنثى القديمة (الغانية) الكريمة بتكاثر الذرية، وبركتها، إلى الأنثى الحديثة (الإلهة) التي تجود بتقديم الخير والعطاء، كالأرض، والزراعة.

هذا الانتقال بدأ بالتدريج منذ حوالي العصر الحجري القديم اللاحق (Epi– Palaeolithic) (العصر الحجري الوسيط)؛ إذ وجد في هذا العصر عدد قليل من هذه الأشكال البشرية (Rollefson 2008) التخطيطية إلى حد كبير، والحيوانية، وبخاصة في الثقافة النطوفية، ومنها منحوتة عين صخري لذكر وأنثى في علاقة حميمية (ل٥: ٦)، التي زاد عددها في الفن الصخري في العصر الحجري الحديث (ل٥: ٢٢)، بما في ذلك ظهور فكرة التخصيب الإلهي بحسب ترجيح الباحث منذ حوالي العصر البرونزي قبل حدوث قصة مريم العذراء عليها السلام بزمن طويل، رغم ندرة مشاهد هذا النوع من التخصيب حتى الآن، حيث لا يوجد منها سوى مشهدين؛ مشهد وحيد وجد في الفن الصخري في نجران (ش٦)، فُسّر على أنه اتصال جنسي (Anati 1968) (العبد الجبار ٢٠١٠، القنور ٢٠١١)، وفي تفسيرنا يُعدُّ حالة تخصيب ألوُهِي بعضو ذكوري بشري بسبب وجود عضو التذكير بتفاصيله دون وجود الذكر نفسه، إضافة إلى وضع الأنثى العام الدال على عدم الاسترخاء المتعارف عليه خلال الاتصال الجنسي المعتاد، بما في ذلك وضعية اليدين غير الاعتيادية. والمشهد الآخر وجد في منشأة في الأناضول لأنثى منحوتة على بلاطة مجسِّدة لهذا النوع من التخصيب فيما يبدو لنا، وقد تعبّر عن حالة ولادة غير ميسّرة (خروج أرجل الجنين أو إحداهما قبل خروج الرأس)، على اعتبار أن رأس الجنين غير موجود في هذا المشهد؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنَّ الجسم المتصل بالجهاز التناسلي الخارجي للأنثى غير واضح تفاصيله هذا إذا لم تكن هذه التفاصيل قد خُدشت، وأزيلت بعد عملية النحت، مع أن احتمال الولادة في هذا المشهد يُعدُّ احتمالًا ضعيفًا إلى حد كبير بسبب عدم وضوح أي شكل للجنين، لا الرأس، ولا حتى الرجلين، أو إحداهما بشكل مؤكد (ل٩: ٤) إن لوحة نجران الاستثنائية الفريدة المجسّدة للتخصيب الأُلوهي في تفسيرنا (ل٩: ش٦) قد تشير إلى أن هذه الفكرة ولدت في اليمن القديم بما في ذلك قصة مريم العذراء عليها السلام.

إن النسبة العالية للدمى الأنثوية وسط الدُّمى الصوانية، ومنها الحاملات أجنتها (ل٣: ١٨؛ ل٤ب: ١-٤) إضافة إلى الدُّمى الأنثوية الفخارية، ومنها الحاملات مواليدها في أيديها أحيانًا (ل٥: ١٧- أ) - تؤكد وجود نظام الأمومة (Matriarchy)، لكن المقصود به الدور العظيم للأم، وليس الأنثى الحاكمة المتسلطة كما يرسمها بعضهم (Gimbutas 1973, 1993)، كما أنَّ انتشار نحت الأشكال المذكّرة في الفن الصخري وبتلك الأوضاع (ل٥: ٢٣)، سواء في مجتمع الرعي، والصيد (ل٥: ٢٢- أ) أم مجتمع الزراعة (ل٥: ٢٢- ب) (ش٥، ل٩: ١- ٢)، إضافة إلى معطيات أثرية أخرى يشير إلى أنَّ مكانة الصدارة في الوضع الاقتصادي، وإدارة شؤون الحياة لم تكن مرتبطة بالأنثى وحدها، بل وبالذكر كذلك (ل٥: ٢٣)، وأنَّ هذه العملية، وغيرها كانت متكاملة بينهما. وعليه، فإن نظام الأمومة (Matriarchy) الذي صيغت فكرته في القرن ١٩ الميلادي قد لا يكون بتلك الصورة التي شُخِّص فيه دور الأنثى بصورة شبه مطلقة[٣١]، أو أنَّ فهم هذه الصياغة بصورة غير دقيقة ولّد هذه الصورة المطلقة لنظام الأمومة عند بعض الباحثين، فأخذوا يسقطونها على الدراسات الأثرية بتلك الصورة المطلقة نفسها (Gimbutas 1960, 1973, 1987, 1989, 1991,1999)؛ ليس هذا وحسب، بل عدّ هؤلاء الآثاريُّون نظام الأمومة هو حكم الأنثى وسلطتها، وأن الأنثى كانت تورِّث هذا الحكم إلى بناتها (Gimbutas 1991) دون الذكور، وأن هذه السلطة الأنثوية سادت في أوروبا، إلى أنْ قُضي عليها من خلال غارات الأقوام الهندو- أوروبية الرعاة أو (أنصاف البدو) على أوروبا (Gimbutas 1997) التي قدمت إليها من الشرق[٣٢]؛ مع أن هذا التحليل سطحي للغاية، إذ أسقط فيه نظام حكم الإمبراطوريات والأنظمة الحاكمة المعاصرة فيما قبل التاريخ، كما أن هذا التغيير رُبط بغارات الأقوام الهندو- أوروبية على أوروبا، دون النظر في التغيرات الرئيسة التي حدث وفق النمط المعيش في العالم، بما في ذلك في أوروبا نفسها، بدءًا من العصر الحجري الحديث المتأخر الذي زادت وتيرته أكثر في العصر الحجري النحاسي، وصار مسيطرًا في العصر البرونزي (ش٥).

إنَّ تجسيد الأنثى بتلك الأشكال الأنثوية الفخارية، والحجرية الكبيرة نسبيًا، والصوانية الصغيرة الحجم سالفة الذكر تعني أن الأنثى بلغت في الفكر التجريدي العام مكانة عالية، والعقائدي بشكل خاص، هذا الفكر الذي ارتبط بالزراعة في العصر الحجري الحديث، وبتكاثر النسل وبركته في العصر الحجري القديم الأعلى. ومرة أخرى، فإن هذه المكانة لا تعني الحكم والسلطة بحسب المفهوم المعاصر لهما، بل كانت تعني خواص الأنثى نفسها الفيزيائية، والروحية، ودورها العظيم في الإنجاب والجوانب الأخرى سالفة الذكر؛ علمًا أن الفكر العقائدي في تجسيد الأنثى كمعبود تجريدية في العصر الحجري الحديث وصل إلى أوروبا من ثقافات العصر الحجري الحديث من الشرق الأدنى بعد أن اختفت غانيات العصر الحجري القديم الأعلى فيها منذ نهاية العصر الحجري القديم الأعلى، وبداية العصر الحجري الوسيط (ل٥)، بسبب التغيّر الاقتصادي المبكّر الذي ظهر في هذه المنطقة من العالم؛ إذ ارتبط أفول الإلهة الأم، وعقيدتها بواقع اقتصادي جديد ظهر في مناطق واسعة من العالم، بما في ذلك أوروبا نفسها، وصل إلى أقصى شمالها (ش٥). هذا الفهم غير المتّزن لدور الأنثى ساعد، فيما يبدو لنا، على ظهور حركة النساء نصف العاريات في أوروبا المعاصرة التي صارت تجوب شوارع عدد من بلدانها، كأنها تحاكي غانيات العصر الحجري القديم الأعلى العاريات[٣٣]، مع أن حياة اليوم مختلفة تمامًا عن حياة ذلك الزمن، بما في ذلك دور الأنثى في العصرين الحجري القديم الأعلى والمعاصر.

خلاصة واستنتاجات

إن ما يمكن إضافته من استنتاجات أخرى إلى جانب ما سلف ذكره في متن هذا البحث أنَّ تصنيف هذه الدُّمى البشرية الصوانية بحسب الجنس في هذا البحث قَدّم معلومات واسعة عن الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية، والفكرية، والعقائدية، وجوانب أخرى من الحياة بوجه عام، يمكن الرجوع إليها في

اللوحة ٩: ١-٤ من الأناضول (تركيا)، ١- من موقع (sayburç sanliurfa)، ٢، ٤ **من** (Göbekli Tepe)، ٢ - **عن** (Peters, Schmidt 2004, Bolger 2010)، ٣- **من شاتل هيوك، عن** (Haddow 2015)، ٤- **عن** (Schmidt 2006, 2010)، ش٦ **من نجران، عن** (Anati 1968)، ش٧- **عن** (Gimbutas 1991). ١-- **ذَكرٌ قابض بيده اليمنى على عضوه الذكري، وبالأخرى على بطنه، وعلى جانبيه نمران فاتحان فكيهما، مشهد يعبّر عن علاقة الإنسان بالحيوان، ودور الذكر في عملية التخصيب، والفحولة فيما يبدو، ويُعدُّ هذا الشكل١، والشكل٢ من الأشكال النادرة في العصر الحجري الحديث المبكّر التي تبشر ببزوغ الألوهية الذكورية داخل المجتمعات الزراعية، ٤- أنثى منحوتة على بلاطة من الحجر قد تشير إلى عملية تخصيب ألوُهِي سابقة لمريم العذراء بزمن طويل، وقد تكون في حالة ولادة غير ميسرة (خروج أرجل الجنين قبل رأسه)، ش٦- أنثى في الفن الصخري منحوتة على واجهة صخرية في نجران فسرت على أنها في اتصال جنسي** (Anati 1968) **(العبد الجبار ٢٠١٠، القنور ٢٠١١)، وفي تفسيرنا لها أنها في وضع تخصيب ألوُهِي بعضو ذكوري بشري بسبب وجود عضو التذكير دون وجود الذكر نفسه، إضافة إلى وضع الأنثى العام الدال على عدم الاسترخاء المتعارف عليه خلال الاتصال الجنسي المعتاد، بما في ذلك وضعية اليدين، ونعتقد أن ش٦ في نجران يمثل الفكر العقائدي السابق لقصة مريم العذراء، وأن هذا الفكر العقائدي ظهر في اليمن القديم من المحتمل بدليل هذا النحت على الصخري الذي لم يسجل له شبها في العالم بعد. ش٧ حالة مخاض. الأشكال ١-٢ عن** https://www.academia.edu/61511696/The_art_from_the_Saybur%C3%A7_site_and_the_Sacred_Marriage.

متن هذا البحث؛ فقد كَشف هذا التصنيف أسرارًا لهذه الدُّمى لم تكن معروفة من قبل، إذ اتضح من خلاله أنها كانت مرتبطة بفكر عقائدي في الأساس، لكن استخداماتها في العالم اختلف باختلاف تفاصيل النمط المعيش، والفترات الزمنية، والعادات، والتقاليد، والأحـداث التاريخية، والبيئية في كل ثقافة أثرية على حدة، أو منطقة جغرافية محددة، رغم المبادئ الإنسانية العامة، وأنَّ هذه الدُّمى من حيث الكم قليلة العدد إلى حد كبير، ومن حيث الانتشار الجغرافي في العالم كذلك، وأنَّ بداية ظهورها ارتبط بالمجتمع الزراعي، وبالإلهة الأم في الأساس في منطقة الشرق الأدنـى، منها الشام، أو الهلال الخصيب بوجه عام

بحسب ترجيح الباحث، استنادًا إلى الدُّمى التي وردت في هذا البحث من موقع خريصان في الأردن التي أرخت بحوالي ١٠,٠٠٠ سنة ق.م.، بعد أن أعيد تقويمها من أدوات صيد إلى دُمى بشرية، وصنّفت بحسب الجنس كذلك، وأنَّ مجتمعات الصيد والجمع التي ظهرت فيها هذه الدُّمى الصوانية تأثرت بالإلهة الأم، وعقيدتها استنادًا إلى ارتفاع عدد الدّمى الأنثوية فيها (ج١)، منها على سبيل المثال موقع الثُّمامة في الرياض في الجزيرة العربية، وروسيا الاتحادية بشقيها، الأوروبي، والآسيوي، إضافة إلى انتشار الدُّمى الحيوانية منذ العصر الحجري الحديث المتأخر، وما بعده في بعض المناطق، مثال على ذلك روسيا الاتحادية لأسباب، زمنية، وبيئية، واقتصادية واجتماعية، وعقائدية (ل٣: ٩- ١٥، ش١- ٢)، وفي مصر كذلك (ل٧، ش٣). هذه الدُّمى الصوانية البشرية تتألف من دُمى ذكورية، وأنثوية، ويفوق عدد الدُّمى الأنثويةُ الذكوريةَ كثيرًا (ج١)، كما أنَّ عددها يزيد في العصر الحجري الحديث المبكّر، ويقل بالتدريج فيما بعده إلى الندرة، أو الاختفاء بالكامل في عهد الحضارة، والمدنية، ولهذا الأمر ارتباط بمكانة الإلهة الأم (المعبودة الأنثوية)، فكلما ضعفت مكانتها قابله ضعف في عدد الدُّمى البشرية الأنثوية الصوانية، إلى أنْ اختفت بصورة شبه كاملة وسط الدُّمى البشرية المصنوعة من الأوبسديان في حضارة المايا، وإنكا في أمريكا (ل٦) ووسط دُمى الصوان في الحضارة المصرية (ل٧) عندما سادت المعبود الذكوري (الإله الأب).

وأخيرًا، نؤكد أن مصنوعات الصوان البالغ عددها ٢٦ صنعة في كل من الثمامة في الرياض، والخماسين في الربع الخالي التي صنّفت في دراسات سابقة أدوات للصيد تُعدُّ دُمى بشرية، منها ٢٤ دمية من الثمامة أنثوية (المعبودة) (ل١-أ)، إضافة إلى مصنوعتين إحداهما من الثمامة (ل١-ب: ٢٩)، والأخرى من الخماسين (ل١- ب: ٣٠) قد تكونان دُميتين بشريتين ذكوريتين، وجميعها تنتمي إلى صيادي القوت وجامعيه، وقد ظهرت هذه الدُّمى الأنثوية في الثُّمامة تحت تأثير الإلهة الأم، وعقيدتها التي وجدت في الشام، والحال نفسه مع مصنوعات الصوان في موقع خريصان التي نؤكد هنا من جديد أنها دُمى بشرية بعد أن أعيد تقويمها في هذا البحث وفي بحثين آخرين كذلك (المعمري: تحت الطبع١، ٢)، وأنها أنثوية في الغالب.

جدول١: إحصاء للأشكال ما قبل التاريخ البشرية والحيوانية الصوانية التي يزيد عمرها عن ٣٠٠٠ سنة ق.م. ونسبها المئوية

العصر	التأريخ	أسطورية ونسبتها		حيوانات ونسبتها		ذكور ونسبتها		إناث ونسبتها		المجموع	
الحجري الحديث المتأخر	٥٠٠٠ ق.م	٠	٪٠	٠	٪٠	١	٪٤	٢٤	٪٩٦	٢٥	الثُّمامة – المملكة العربية السعودية
الحجري الحديث المتأخر	٥٠٠٠ ق.م	٠	٪٠	٠	٪٠	١	٪١٠٠	٠	٪٠	١	الخماسين - المملكة العربية السعودية
الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) و(ب)	١٠,٠٠٠- ٦٠٠٠ ق.م	٠	٪٠	٠	٪٠	١	٪٨	١١	٪٩٢	١٢	موقع خريصان – الأردن
ما قبل الأسرات	٣٠٠٠ ق.م	٠	٪٠	٢٢	٪٩٦	١	٪٤	٠	٪٠	٢٣	مصر
الحجري الحديث المتأخر والبرونزي	٣٠٠٠- ٢٠٠٠ ق.م	٧	٪٨	٢٥	٪٣٠	١٦	٪١٩	٣٦	٪٤٣	٨٤	مواقع متعددة في روسيا الاتحادية
		٧	٪٥	٤٧	٪٣٢	٢٠	٪١٤	٧١	٪٤٩	١٤٥	المجموع

أ. د. عبد الرزاق بن أحمد راشد المَعْمَري: قسم الآثار- جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية- الرياض. وقسم الآثار- جامعة صنعاء - الجمهورية اليمنية- صنعاء.

الهوامش:

(١) Schmandt-Besserat Denise., "Animal Figurines". Chapter 3.1. http://sites.utexas.edu/dsb/files/2018/07/Animal-Figurines.pdf

(٢) Denise Schmandt-Besserat., "The Human Clay Figurines and Ancient Near Eastern Magic". Chapter 4.1. https://repositories.lib.utexas.edu/bitstream/handle/2152/75174/Human-Clay-Figurines.pdf

(٣) عدد من الأشكال البشرية والحيوانية ذات السمات الواضحة سجلت في الأردن في نهاية هذا العصر المبكّر، أرخت ما بين 6000– 6500 ق. م.، (Mahasneh, Bienert 1999, Mahasneh 2018)، وأخرى صنعت من الجبس والقصب، أعيدت إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) (PPN B) في عين غزال (Grissom 2000, McCarter 2007: 161– 163)، إضافة إلى أشكال أخرى من الحجر (Rollefson et. al., 1991). هذه الأشكال تطورت في عهد الحضارات إلى تماثيل كبيرة الحجم، منها على سبيل المثال في مصر، والرافدين، واليمن، وغيرها من مناطق العالم.

(٤) 31 شكلًا من أمريكا (لم تدخل في الجدول الإحصائي لأنها حديثة العهد، فأغلبها يرجع إلى التاريخ الميلادي)، 26 شكلًا من الجزيرة العربية، 12 شكلًا من خريصان (بينها شكل مكرر)، و23 شكلًا من مصر (الأشكال الإيضاحية التي عُرضت من مصر في البحث السابق "المعمري: تحت الطبع2" كانت 9 أشكال فقط، وفي هذا البحث أضيفت الأشكال الإيضاحية الأخرى البالغ عددها 14 شكلاً، ل7).

(٥) في البحث السابق (المعمري: تحت الطبع2) عرضنا الشكل الذكوري الوحيد الذي عُرف في مصر ضمن الأشكال الإيضاحية (ل7: 1)، إضافة إلى 8 أشكال حيوانية (ش3)، لكن في الجدول الإحصائي في ذلك البحث (ج1) أدرجنا جميع الدُّمى التي تمكّنا من التعرف إليها في مصر البالغ عددها 23 دمية، وفي هذا البحث عرضنا هذا العدد بأكمله ضمن الأشكال الإيضاحية (ل7، ش3)، إضافة إلى إدراج هذا العدد في الجدول الإحصائي كذلك (ج1).

(٦) استخدم الباحثون الأوروبيون منذ نحو القرن 19م مصطلح فينوس (Venus) تماشيًا مع استخدام اليونانيين والرومانيين له في أساطيرهم للتعبير به عن إلهة الحب والجمال والجنس.. إلخ، وهو اسم كوكب الزّهرة. هذا المصطلح استخدمه الآثاريّون للتعبير به عن الأشكال المؤنثة في العصر الحجري القديم الأعلى، ونحن اقترحنا استخدام مفهوم غانية، وجمعها (غوانٍ) و(غانيات) في اللغة العربية أو (زُهرة، وجمعها زُهرات، أو بأسلوب التصغير: زُهيرة، والجمع زُهيرات، أو زهيرات)، لتقابل هذه المصطلحات المصطلح الأجنبي فينوس، على اعتبار أن غانية تتضمن الجمال، والحب... إلخ كذلك، وكذلك الزُّهرات.

(٧) ذُكر في إحدى رسائل الدكتوراه أن عدد هذه الدُّمى الصوانية في القسم الأوروبي من روسيا الاتحادية يبلغ نحو ٨١ شكلًا (Kashina 2005: 21)، لكن في المعرض الذي أقامه متحف الإرميتاج (الحيوان والإنسان) في عام 2002م بلغ عددها في حدود 300 دمية (Zver and Chelovek 2009)، وأكد هذا العدد بشكل تقريبي مصدر آخر (Kostyleva, Utkin 2013: 66).

(٨) منها: 1– أشكال أمامية أحادية المنظور خالية من الأطراف، ودون الرأس والأعضاء التشريحية، 2– أشكال أمامية خالية من الأطراف مع بعض الإضافات إليها، كبروز البطن، أو بروزات أخرى، 3– أشكال أمامية برأس، ورجلين دون أيادٍ، 4– أشكال جانبية برأس ورجلين دون أيادٍ أيضًا (ل4– أ) (Kashina 2002, 2005). من معضلات تصنيف هذه الدُّمى تحديد هوية الأشكال البشرية عن غيرها، ثم تحديد الإناث عن الذكور، وهو الأكثر تعقيدًا. فتحديد الهوية البشرية في مصنوعات خريصان (ل1– ج) أقل صعوبة نسبيًا، من تحديد هوية مصنوعات الثمامة والخُماسين البشرية (ل1– أ)، في حين تحديد نوع الجنس يُعدُّ أكثر تعقيدًا من تحديد السمات البشرية بكثير في خريصان. أمّا مصنوعات الثمامة والخماسين فهناك صعوبة شديدة في التمييز بينها وبين أدوات الصيد بوجه عام (ل1– أ) ناهيك عن صعوبة تحديد نوع الجنس فيها.

(٩) أي العين التي يكتنفها حرفان من الجهتين.

(١٠) وافترض (زَمياتنين) أن ظهور هذه الدُّمى ارتبط بأهمية الصوان في صناعة الأدوات الحجرية، إذ رأى أن هذه الدُّمى ظهرت عندما أخذ هذا الخام يفقد هذه الأهمية الكبيرة، فصار الإنسان يصنع منه هذه الدُّمى تقديسًا لذلك الدور القديم الذي كان يحظى به، ومن خلال ذلك ظهر تقديس الحجر (Cult of Stone) (Zamyatnin 1948: 113)، وافترض كذلك أن هناك علاقة بين ظهور هذه الدُّمى الصوانية ومعانيها بألوان الصوان نفسه على اعتبار أن ألوان هذا الخام زاهية ومتنوعة، لكن هذه الافتراضات لم تحظَ بالقبول لدى الآثاريين، ولا تدعمها المعطيات الأثرية كذلك، بما في ذلك في هذا البحث. فدُمَى الصوان في موقع خريصان أقدم تاريخ لها يرجع إلى ما بين 10,000 - 9000 سنة ق. م.، استنادًا إلى وجودها في طبقتي العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ،) و(ب)، وهي الفترة التي كان هذا الخام يحظى بطلب واسع في الصناعة الحجرية بشكل عام.

(١١) – https://www.weart.com/en/maya-excentric-flint-2719.html

(١٢) – https://www.pinterest.co.uk/pin/822610688162261664/

https://www.pinterest.co.uk/pin/418201515393212750/

(١٣) – https://d3h6k4kfl8m9p0.cloudfront.net/stories/Ch12J.5uCSebHXfT3-l1vA.jpg

(١٤) https://www.reddit.com/r/ArtefactPorn/comments/cj2z1w/mayan__flint__eccentric__late__classic__ca__

ad__550950/ Mayan Flint Eccentric, Late Classic, ca. A.D. 550–950, probably Guatemala. [573x816]

(١٥) – https://collections.lacma.org/node/2257693

(١٦) –https://www.behance.net/gallery/57203443/Teotihuacan–City–of–Water–City–of–Fire/modules/336842407

(١٧) – http://7is7.com/otto/travel/photos/20030404/81phallusnearcave2.html

https://www.voyagevirtuel.co.uk/mexique/pages/uxmal–museum–phallus–2.php

(١٨) https://arqueologiamexicana.mx/mexico–antiguo/la–obsidiana–en–mesoamerica–

http://catarina.udlap.mx/xmLibris/projects/covarrubias/browse/item.jsp?id=teotihuacan__xochicalco__i__fotografias&key=amc__teotihuacan__xochicalco__i__fotografias__003.xml

(١٩) https://mediateca.inah.gob.mx/repositorio/islandora/object/objetoprehispanico%3A18623

(٢٠) هذه الأداة من الموقع 211– 46 من الخماسين مع أنه في الترجمة إلى اللغة العربية وردت على أنها من الموقع 211– 16. وللإحاطة، هناك كثير من الأخطاء في ترجمة تقارير المسح الأثري الشامل التي نشرت في حولية أطلال، ليس هذا وحسب، بل وأخطاء كثيرة في التقارير نفسها في اللغة الإنجليزية نفسها التي كتبت بها تلك التقارير، ونقص كبير في عملية التوثيق، والربط بين المواقع الأثرية وأرقامها... إلخ.

(٢١) وجدت في موقع واحد على الأرجح (ل1–أ)، استنادًا إلى نمط هذه المصنوعات. أضف إلى ذلك: ذُكر في تذييل الصورة الفوتوغرافية لهذه المصنوعات التي أخذت لها خلال العمل المكتبي، أنها "وجدت في ورشة تحت سطح الأرض" (أبو درك 1984: ل 98)، مع أنه ذُكر في موضع آخر من متن التقرير نفسه أنها وجدت "حول قطعة كبيرة من الحجر الناري الأسود الذي يمثل مشغلًا لتصنيع الأدوات" (أبو درك 1984: 101) دون التأكيد لمكانتها تحت سطح الأرض، ودون توثيقها في مكان العثور عليها بأي صور فوتوغرافية، حتى إن عددها لم يُدقق فيه كما سلف الذكر في المتن، فقد ذُكر في متن هذا التقرير باللغتين الإنجليزية والعربية أنها تتألف من 16 قطعة رقمًا وحرفًا، في حين عددها في الصور الفوتوغرافية 24 صنعة (أبو درك 1984: 101، ل 98).

(٢٢) هذا النوع من المصنوعات، على الرغم من أنه من ذات الرقبة المتميزة التي اتسمت به عدد من الأدوات الحجرية التي كانت قد صنّفت رؤوسًا حادة للصيد، ثمَّ قوِّمت من قبلنا إلى سكاكين ذات رقاب (العمري: تحت الطبع١)، لكن هذا النوع يختلف في الجوهر والمعنى عن تلك السكاكين، وعن أدوات الصيد بحسب ترجيحنا، فهاتان الصنعتان شبيهتان بالدُّمى البشرية الذكورية، كأنهما ذكران أعِدّا لشعائر جنائزية، شكلهما شبيهان بأشكال الذكور البشرية المتوفَية التي أعدت للدفن، ولذلك فقد أعدنا استقامتهما: الطرف شبه الحاد أعدناه إلى الأسفل، والرأس أعدناه إلى الأعلى (ل٣: ٢١، ٢٢)، على غير ما نشرا من قبل (ل١–أ: ب: ٢٩– ٣٠). ومما يلاحظ في الفوارق البسيطة الاعتيادية بين هذين الشكلين نفسيهما، أن الشكل الذي وجد في الثمامة، وجد فيه شكل يشبه الفتحتين المجهريتين المتقابلتين قرب المنتصف بصورة تكاد لا تُرى، بسبب صغرهما (ل١–ب: ٢٩)؛ لكن يصعب التأكيد على أنهما أُحدثتا بشكل هادف، وربما حدث ذلك بصورة اعتيادية خلال عملية التهذيب، وإن كانت هاتان الفتحتان المجهّرتان قد أُحدثتا بشكل هادف فإنه من الصعب معرفة وظيفتهما، أو معناهما في ظل وجود هذا الشكل الوحيد بهذه السمة (ل١–ب: ٢٩).

(٢٣) معروف أثريًا أن الأشياء المادية التي كانت تدفن مع الموتى في الشعائر الجنائزية هي الأسلحة، أو الحليّ، أو أي متاع آخر كان الإنسان بحاجة إليه في حياته الدنيوية، وسيكون بحاجة إليه عند عودة الروح إليه من جديد، بحسب تلك المعتقدات؛ لذلك، كانت تدفن معه هذه الأشياء. هذه المصنوعات الحجرية في الثمامة لا وظيفة لها في الحياة الدنيا بحسب هذا الشكل الذي أتت عليه، ولا يوجد لها معنى رمزي في تلك المعتقدات كذلك، إلاَّ إذا عُدّت دُميً أنثوية، من خلال هذه المقاربة بينها وبين الأشكال الأنثوية التي وجدت في روسيا الاتحادية، وخريصان في الأردن، إلى جانب الظواهر الأخرى الشكلية، والتقنية، والنوعية فيها، والربط المنطقي بينها وبين المعاني الأخرى سالفة الذكر.

(٢٤) كان قد ظهر شك عند بعض الآثاريين في أنَّ هذه المصنوعات التي كانت مُصنّفة حِرَابًا للصيد في الثمامة (ل1– أ) صُنعت بالطريقة التجريبية المتعارف عليها في علم الآثار، بينما رأى آخرون أنها نقلت إليها من الربع الخالي بسبب عدم تسجيل مصنوعات من هذا النوع نفسه في الثمامة، خلال الأعمال اللاحقة (الشارخ ٢٠٠٣) التي أعقبت برنامج المسح الأثري.

(٢٥) https://trek.zone/en/saudi–arabia/places/49616/bir–hima–rock–petroglyphs–and–inscriptions–najran

(٢٦) يؤكد الباحث من جديد أن تفسير الدميتين الذكوريّتين اللتين وجدتا في الخماسين والثمامة أنهما استخدمتا، فيما يبدو، في شعائر جنائزية إنْ كانتا بالفعل آدميتين ذكوريتين، استنادًا إلى شكليهما سالفي الوصف (ل1– ب: 29– 30). أمّا دُمى الثمامة الأنثوية (المعبودات) التي لا شك فيها كما نعتقد في أنها دمى بشرية، فإن العبارة التي قِيلت في تذييل الصور الفوتوغرافية لها: "عثر عليها تحت سطح الأرض" (أبو درك وآخرون 1984: ل98)، أخِذت بعين الاعتبار في أنها استخدمت في شعائر جنائزية بحسب رأينا، لكن عدم وجود مقابر وعظام بشرية أو معطيات أخرى مرافقة جعلتنا نأخذ بالعبارة الأخرى التي أفادت أن هذه المصنوعات عُثر عليها في مشغل قرب صخرة نارية (أبو درك 1984: 101)، ونعتقد أن هذه الدُّمى كانت تصنّع في هذا المكان، ثم تؤخذ إلى أماكن أخرى لاستخدامها، وهو الأمر المرجّح. والأمر نفسه

مع دُمى خريصان، إذ ذُكرَ أنها سجلت في طبقات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) و(ب) دون ذكر لوجود عظام بشرية مصاحبة، أو مقابر (Borrell et. al. 2019)، وقد يستدل من ذلك على أنها كانت تصنّع في أماكن أخرى، ثم تنقل إلى أماكن استخدامها، منها مساكن العيش والإقامة، وأن وظائفها قد لا تكون مرتبطة بشعائر جنائزية، على اعتبار أنها لم تسجل أي صنعة منها في قبر حتى الآن، بل كانت لها وظائف عقائدية أخرى، كالتقرب مثلاً إلى الإلهة، وطلب قضاء الحاجات خاصة أنها لصغر حجمها يسهل اصطحابها، ووضعها في أي مكان.

(٢٧) http://www.welateme.net/cand/modules.php?name=News&file=article&sid=3581#.YWkuJ1VBzIU

(٢٨) https://www.pandorawordbox.com/image.php?image=011631360

https://pl.pinterest.com/piedmont4431/old-europe-neolithic-cultures/

(٢٩) http://www.ancient-wisdom.com/malta.htm

(٣٠) https://www.pinterest.co.uk/pin/747105025661463485/

(٣١) تمت صياغة فكرة هذا النظام من قبل جون بيتهوفن (Bachofen)، ولويس مورغن (Morgan)، وفريدريك أنجلز (Engels)؛ لكن هذه الصياغة بنيت حينذاك على الأساطير الإغريقية والرومانية وبعض المعطيات الإثنوغرافية، منها دراسة جوزيف لا فيتو (Lafito) لإحدى قبائل الهنود الحمر، بما في ذلك الزواج من خارج المجموعة العرقية (Exogamy)، وتعدد الأزواج، والزوجات (Polygamy) بشكل رئيس الذي سجل بحسب الدراسات الشُّعوبية (الإثنوغرافية). للتوضيح فإن مفهوم شعوبية المستخدم هنا يقصد به اختصارًا علم وصف الشعوب (Ethnography) الذي يوثّق العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية والثقافية والمعيشية للشعوب المعاصرة، التي ما تزال تحتفظ بعناصر من ثقافات ما قبل التاريخ، ولا ينبغي الخلط بين هذا المفهوم والحركة الشعوبية القومية العنصرية التي ظهرت في العصر الأموي، وقد استخدمنا مفهوم شعوبية في أبحاث أخرى سابقة بما يعني علم وصف الشعوب، ولو استخدمنا مفهوم علم (الأعراق) أو (علم الأجناس)، فإن هذان العلمان لا تقومان بما تقوم به الدراسة الإثنوغرافية، بل تقوم على الخصائص الفيزيائية، والجينية (العرق، والجنس)، وليس العادات والتقاليد والسلوك وما سلف ذكره.

(٣٢) حدث بسبب غارات الأقوام الهندو- أوروبية الرعاة (أنصاف البدو) المتلاحقة من قبل أصحاب ثقافة المدافن التلالية أو (الركامية) Kurgan) (culture خلال الفترة ما بين نحو 4500- 3500 ق. م كما رأت هذه الباحثة، وأنَّ الذكور كانوا إخوة، وأزواجًا للآلهة، وليسوا مصدرًا للطاقة الواهبة للحياة التي رآها باحثون آخرون من خلال أن القوة الجسدية، والجنسية للذكور تضاعف بطريقة سحرية القدرات الإنتاجية للمرأة.

http://s١٥٥٢٣٩٢١٥.onlinehome.us/turkic/btn__Archeology/Kurgan__CultureEn.htm

(٣٣) كان من المتبنين لفهم دور المرأة بتلك الصورة المطلقة السيدة (ماريجا غيمبوتس) (Marija Gimbutas).

المراجع:

أولًا: المراجع العربية

الدايل خالد عبدالعزيز ١٩٨٨، «تقرير عن أعمال ونتائج الموسم الثاني لحفريات دومة الجندل»، **أطلال**، ع١١: ٤٥- ٦٦.

درك حامد (أبو)، عبدالجواد مراد، محمد البراهيم ١٩٨٤، «الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث»، **أطلال**، ع٨: ١٠٣ - ٩٧، لوحة ٩٩.

الشارخ عبدالله بن محمد ٢٠٠٣، «دراسة آثارية لمواقع الثمامة: النتائج الأولية»، **أدوماتو**، ع٩، الرياض، ص٧- ٣٢.

الشايع عبدالله ٢٠٠٩، **أطلس الشواهد الأثرية على مسارات طرق القوافل القديمة في شبه الجزيرة العربية**، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٠هـ.

صادق أزهري مصطفى ٢٠١٨، « الدُّمى الفخارية في العصر الحجري الحديث بالسودان: حالة دراسة ميدانية من موقع الصور (٤٣٥٠ ق، م إلى ٣٩٠٠ ق، م)، **مجلة الخليج للتاريخ والآثار**، ع١٣: ١٥- ٤٩.

عمار حسني عبدالحليم ٢٠١٧، «الوعل في فنون عصر ما قبل الأسرات في مصر ودلالاته الحضارية، **مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش**، مج٣٤: ٢٣٥- ٢٦١.

فضلان (ابن) أحمد بن العباس ١٩٥٩، **رسالة ابن فضلان في وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ستة ٣٠٩هـ - ٩٢١م**، تحقيق محمد سامي الدهان، دمشق، المجمع العلمي العربي بدمشق.

المعمري عبدالرزاق راشد ٢٠٠٠: «ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية»، **أدوماتو**، ع١: ٧- ٢٩.

المعمري عبدالرزاق أحمد راشد، تحت الطبع١، « أدوات حجرية من شرق المملكة تكشف طرازًا جديدًا من التشابه بين أمريكا والجزيرة والصحراء الأفريقية والشام واكتشاف **معبودات في الثُّمَامَة** وخِريصان «، **مجلة الخليج للتاريخ والآثار**.

المعمري عبدالرزاق أحمد راشد، تحت الطبع٢،» تقويم لمصنوعات حجرية في الجزيرة العربية والشام من أدواتِ

صيدٍ إلى دُمى آدمية وعلاقتها بمثيلاتها عالميًا وبتطور الفكر والعقيدة»، **مجلة الآداب**، جامعة الخرطوم.
المعمري، عبدالرزاق راشد ٢٠٠٢، "إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية»، **أدوماتو**، ع٥: ٢٣-٤٤ ، https://ia801203.us.archive.org/30/items/irkmony02/05.pdf.
المعمري، عبدالرزاق بن أحمد ٢٠١٢، «أدوات صيد غير تقليدية من عصور ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية»، مجلة التاريخ والآثار الأردنية، الأردن، م٦، ع٣، ص١٣٩- ١٧٤.
موللور والتر ١٩٩٩، الدين، في كتاب: **اليمن في بلاد مملكة سبأ**، باريس: معهد العالم العربي، دمشق: دار الأهالي، ص١٢١- ١٢٩.
أبو النضر، فدى السيد ٢٠١٥، «الثور في الفكر المصري في عصور ما قبل الأسرات»، **الاتحاد العام للآثاريين العرب**، ع١٦: ٥٢٧- ٣٥٣.

ثانيًا: المراجع غير العربية

Anati E.,1968. **Rock Art in Central Arabia**. vol. 1: "The Oval-headed" People of Arabia, Universite de Louvain, Institute Orientaliste, Louvain.

Audouin R. 2005 Une "Venus" steatopyge au Metropolitan Museum de New York. In**: Sabaean Studies:Archaeological, Epigraphical and Historical Studies** in Honour of Yusuf M. 'Abdallah, Alessandro de Maigret and Christian J. Robin on the Occasion of Their 60 th Birthdays: 359-75. De Boccard, Paris.

Bader O. N., Kosarev M.F., (executive editors) 1987. "The Endolithic and the Bronze Age of North in the European part of the USSR":147 - 246. In**: The Epoch of the Bronze forest belt of the USSR**. Series: Archeology of the USSR (General editors (Rybakova B.A. and others), Moscow. Science. (In: Russian).

Bailey D. W., 2000. **Balkan Prehistory Exclusion, incorporation and identity**. Routledge, London.

Bailey D., 2005**. Prehistoric Figurines**: Representation and Corporeality in the Neolithic. Routledge; 1st edition. USA.

Bailey, D., Cochrane, A., and Zambelli, J. (eds). 2010. **Unearthed**: A Comparative Study of Jomon Dogu and Neolithic Figurines (Norwich: Sainsbury Centre for Visual Arts), Norwich.

Becker J., Beuger C., Muller-Neuhof B., (Editors), 2019. **Human Iconography and Symbolic Meaning in Near Eastern Prehistory.** Proceedings of the Workshop Held at 10th Icaane in Vienna, April 2016. Austrian Academy of Sciences Press.

Bolger D., 2010. "The Dynamics of Gender in Early Agricultural Societies of the Near East". **Signs**, Vol. 35, No. 2: 503-531.

Borrell F., Ibáñez J. J., Muñiz J., Teira L. 2019. "The PPNB chipped stone industries from Kharaysin (Zarqa Valley, Jordan): preliminary insights". Conference: L. Astruc, C. McCartney, F. Briois, V. Kassianidou (eds.): **Near Eastern lithic technologies on the move. Interactions and contexts in Neolithic traditions,** Nicosia, Cyprus Volume: CL: 257- 266.

Braunhotiz J. H., 1936. "Stone implements from Patagonia". **Man**, Vol. XXXVI: 77.

Brodyansky D. L., 2007. "Stone Sculpture and Fine Plastic in The Neolithic and Paleometal of Primorye". In: **Stone Sculpture and Small Plastic Arts of the Ancient and Medieval Peoples of Eurasia: A Collection of Scientific Papers**. Otv. Ed. A. A. Tishkin. - Barnaul: Azbuka Publishing House, (Proceedings of SAIPI. Issue 3): 5-12. (In Russian).

Campbell R., 2020. **Behavioral Psychology:** 2 Books in 1. How to Analyze People + Enneagram: Learn How to Read People's Behaviour, Control Your Emotions and Influence Anyone Understanding Personality Types. Diego Creations Ltd.

Castro R. C., Sugiyama S., Cowgill G. L., 1991. "The Templo De Quetzalcoatl Project At Teotihuacan: A Preliminary Report", **Ancient Mesoamerica,** Vol. 2, No. 1: 77- 92.

Cauvin M.-C 1974a. "Fleches a encoches de Syrie: essai

de classification et d'interpretation culturelle", **Paleorient,** Vol., 2, no. 2: 311- 322.

Cauvin M.-C 1974b. "Outillage Lithique et Chronologie a Tell Aswad (Damascène - Syrie)".**Paléorient**, Vol. 2, No. 2: 429-436.

Charpentier V., 2004."Trihedral Points: A New Facet To The "Arabian Bifacial Tradition"? Proceedings of The Seminar for Arabian Studies, Volume 34: 53- 66. Fig. 7. PP: 61.

Chen S. X., 2014. "The Creation of Female Origin Myth: A Critical Analysis of Gender in the Archaeology of Neolithic China,". Totem: The University of Western Ontario Journal of Anthropology: Vol. 22: Iss. 1, Article 4: 23- 30.

Dag, D., I. Groman.Yarolavski, A. Gopher & A.N. Goring-Morris 2010: "The Gilgal 1 lithic assemblage". In O. Bar-Yosef, A.N. Goring-Morris A. Gopher (eds), Gilgal: **Early Neolithic Occupations in the Lower Jordan Valley. The Excavations of Tamar Noy** (American School of Prehistoric Research Monograph, Series 4), Oxford.

Dixson A., Dixson B. J.,2011 . "Venus Figurines of the European Paleolithic: Symbols of Fertility or Attractiveness?" Journal of Anthropology: 2090-4045.

Elson C. M., Mowbray K., 2005. "Burial Practices At Teotihuacan In The Early Postclassic Period: The Vaillant And Linné Excavations (1931-1932)". Ancient Mesoamerica, 16, 195-211.

Elvinas O. C., 1936. "Stone implements from Patagonia". Man, Vol. XXXVI: 76.

Engels f., 1884. **The Origin of the Family, Private Property and the State**. First Published: October 1884, in Hottingen-Zurich.

Evans J. M., 2012. **The Lives of Sumerian Sculpture:** An Archaeology of the Early Dynastic Temple. Cambridge University Press.

Fitzhugh W., Engelstad B. D., 2017**. Prehistoric Human Figurines in the North American Arctic**. The Oxford Handbook of Prehistoric Figurines Edited by Timothy Insoll.

Gimbutas M., 1960: "Culture Change in Europe at the Start of the Second Millennium B.C. A Contribution to the Indo-European Problem". **Selected Papers of the Fifth International Congress of Anthropological and Ethnological Sciences.** Philadelphia, September 1-9, 1956, ed. A. F. C. Wallace. Philadelphia: University of Philadelphia Press: 540-552.

Gimbutas M., 1973. "Old Europe c. 7000-3500 BC: The Earliest European Civilization Before the Infiltration of the Indo-European Peoples", Journal of Indo-European Studies (JIES) 1 (1973): 1-21.

Gimbutas M., 1987. "The Earth Fertility of old Europe". Dialogues d'histoire ancienne, Année 13: 11- 69.

Gimbutas, M. 1989. **The Language of the Goddess**. London: Thames and Hudson.

Gimbutas, M., 1991. **The Civilization of the Goddess: The World of Old Europe**. San Francisco: Harper and Row.

Gimbutas M., 1993. **The Civilization of the Goddess**: The World of Old Europe. HarperCollins New York, New York, U S A.

Gimbutas M., 1997. **The Kurgan Culture and the Indo-Europeanization of Europe**: Selected Articles from 1952 to 1993. Publisher Study of Man. U.S.A.

Gimbutas, M. 1999. **The Living Goddesses**, compiled and edited by Miriam R. Dexter. Los Angeles: University of California Press.

Gregory I. V., 2016. "Immensity and Miniaturism: The Interplay of Scale and Sensory Experience in the Late Neolithic of the Maltese Islands: Immensity and miniaturism". Oxford Journal of Archaeology, 35 (4): 329 -344.

Grissom C. A., 2000. "Neolithic Statues from 'Ain Ghazal: Construction and Form". American Journal of Archaeology, Vol. 104, No1: 25 -45.

Haaland G., Haaland R., 2016. "Prehistoric Figurines in Sudan": In**: Oxford Handbook of Prehistoric Figurines**. Chapter 5, Publisher: Oxford University Press Editors: Timothy Insoll: 58- 104.

Haddow S. D., (Edat.) 2015. Çatalhöyük 2015 **Archive Report: by members of the Çatalhöyük Research Project.**

https://www.catalhoyuk.com/sites/default/files/media/pdf/Archive_Report_2015.pdf

Heyerdahl T., 1978. **Early Man and the Ocean: The Beginning of Navigation and Seaborn Civilizations.** George Allen & Unwin Ltd.

Ibáñez J. J., Iriarte E., Álvarez J., Monik M., Santana J., Teira L., Corrada M., Lagüera M. A., Lendakova Z., Regalado E., Rosill R., 2016. "Kharaysin: A PPNA and PPNB Site By The Zarqa River 2014 And 2015 Field Seasons". Neo-Lithics 2/15 The Newsletter of Southwest Asian Neolithic Research: 11- 19: 17, Fig. 16.

Joyce T. A., 1932. "Presidential Address. The "Eccentric Flints" of Central America". Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland Vol. 62: xvii- xxvi.

Kashina E. 2002. "Anthropomorphic Flint Sculpture of the European Russian Forest Zone", **Anthropologica et Prehistorica,** No3: 5I-60.

Kashina E. A., 2005. **The Art of Small Forms of the Neolithic- Endolithic of The Forest Zone of Eastern Europe**. Dissertation for The Degree of Candidate of Historical Sciences. Historical Sciences: 07.00.06 - Archeology. Moscow State University of M.V. Lomonosov. History Department. (In Russian).

Kostyleva E. L., Utkin A. V., 2013. "New finds of anthropomorphic images from old collections of the archaeological museum of IvGU", Bulletin of Ivanovo State University, Series Humanities, **Ivanovo**, Issue 3. (6): 62-69. (In Russian).

Krainov D.A., Kostyleva E. L., Utkin A. V., 1994. "Volosovskaya anthropomorphic figurine of the Sakhtysh 2A state", **Russian Archaeology**, 3.M: 118-130. (In Russian).

Langley M. C., Litster M., 2018. "Is It Ritual? Or Is It Children Distinguishing Consequences of Play from Ritual Actions in the Prehistoric Archaeological Record". **Current Anthropology**, Vol., 59, No.5: 216- 242.

Leontyev A., Leontyeva M. 2007. **The origins of bear cult in Russia**. Moscow, Publisher. "Algorithm-Book". https://www.labirint.ru/books/158428/

Mahasneh H. M., Bienert H. D., 1999. "Anthropomorphic figurines from the early Neolithic site of eṣ-Ṣifīye (Jordan)". Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins (1953-), (H. 2):109-126.

Mahasneh H. M., 2018. Zoological Identification of Animal Clay Figurines from the Early Neolithic Site of Es-Sifiya in Wadi al-Mujib, Jordan. **JJHA**, Vol., XII, No.2: 161- 21.

Malone C., Stoddart S., 2017. "Figurines of Malta". In: T. Insoll (Ed.), **The Oxford Handbook of Prehistoric Figurines**: 729-754. Oxford University Press: 737.

Maslov M., 1913. **To the archeology of the Summer and Winter shores of the White Sea**. Arkhangelsk. Provincial Typogarfia. https://kolamap.ru/library/img/1913_maslov.pdf

https://kolamap.ru/library/1913_maslov.htm

McCarter S. F., 2007. **Neolithic**. First Published. New York.

Mellaart J., 1967**. Catal Hüyük. A Neolithic Town in Anatolia**, McGraw-Hill, New York.

Mina M., 2013. **Anthropomorphic Figurines from the Neolithic and Early Bronze Age Aegean Gender Dynamics and Implications for the Understanding of Aegean Prehistory**. (Ph. D.) University College London. Published by ProQuest LLC.

Molly L., 1999. **Not Just a Pretty Face:** Dolls and Human Figurines in Alaska Native Cultures. University of Washington Pres, USA.

Murdoch J., 1892. "Ethnological results of the Point Barrow expedition", **IX annual report of the Bureau of Ethnology**, Washington: 434- 436.

Nayeem M.A., 2000. **The Rock Art of Arabia**, Hyderabad, India.

Neumann E. 2015. **The Great Mother: An Analysis of the Archetype**, Princeton University Press; Revised edition. E. 2015. The Great Mother: An Analysis of the Archetype, Princeton University Press; Revised edition. USA.

O'neill D., 2017. "Three South Arabian Funerary Artefacts In: The Nicholson Museum At The University Of Sydney". **Mediterranean Archaeology**, Vol. 30: 81-92.

Ochsenschlager E., 1974. "Mud Objects from Al-Hiba: A Study In Ancient And Modern Technology". **Archaeology**, Vol. 27, No. 3: 162-174.

Oshibkina S.V., Krainov D.A., Zimina M.P. 1992. **Art**

of the Stone Age (Forest Zone of Eastern Europe). M: Science, 102-104, fig. 136-139. (In Russian).

Pershits A. I., Mongayt A. L., Alekseev V. P. 1982. **History of primitive society**: Textbook. - 3rd ed., Rev. and add, - Moscow: Higher. School

.https://arheologija.ru/pershits-mongayt-alekseev-istoriya-pervobyitnogo-obshhestva/

Peters J., Schmidt K., 2004. "Animals in the symbolic world of Pre-Pottery Neolithic Göbekli Tepe, south-eastern Turkey: a preliminary assessment". **Anthropozoologica**, 39 (1): 179- 218.

Pieri A., 2011. A special Person in a Special Place: The Dwarf of HK6: in: Bioarchaeology, Paleopathology, Physical Anthropology, Predynastic and Early Dynastic Egypt, Bioarchaeology, Osteology, Paleopathology, Vol. 23: 7 -8.

Pomeroy E., Bennett P., Hunt C. O., Reynolds T., Farr L., Frouin M., Holman J., Lane R., French C., Barker G., 2020. "New Neanderthal remains associated with the 'flower burial' at Shanidar Cave". **Antiquity**, Vol, 94, Issue 373: 11 - 26.

Rashed A.A., (Almaamary) 1993a. **Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Dissertatsiya na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg** (in Russian).

Rashed A.A., (Almaamary) 1993b. **Nieolit Yujnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Aftoreferat dissertatsii na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk.** Sankt-Petersburg. (Abstract of Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg), in Russian. **http://cheloveknauka.com/v/471800/a?#?page=1**

Relke J., 2011. "The Predynastic Dancing Egyptian Figurine". Religion in Africa, Vol. 41, Issue 4: 396-426.

Repman A., 1957. "Figurny Kremen s Vishnevolotskich Stoyanok". In: KSllMK (Flint Figurines from the Vyshniy-Volochok Region Sites. Material Culture Institute: Preliminaru Studies), 67: 135- 137. https://arheologija.ru/repman-figurnyiy-kremen-s-vyishnevolotskih-neoliticheskih-stoyanok/

Rollefson G. O., Simmons A. H., Kafafi Z. A., 1991. "The Early Neolithic Village of 'Ain Gĥazāl, Jordan: Preliminary Report on the 1983 Season" 1990, January, **Bulletin of the American Schools of Oriental Research Supplementary Studies**, 23(27):95-116.

Rollefson G., 2008. "Charming Lives: Human and Animal Figurines in the Late Epipaleolithic and Early Neolithic Periods in the Greater Levant and~Eastern Anatolia". In: J.-P. Bocquet-Appel, O. Bar-Yosef (eds.), **The Neolithic Demographic Transition and its Consequences**: 387- 416.

Santasilia C. E., 2018.**Tlatilco Uncovered: Catalogue of Uncovering Ancient Mexico: The Mystery of Tlatilco.** Ambient Light Press Los Angeles in Association with The Riverside Museum Press.

Sarris A., Kalogiropoulou E., Kalayci T., Karimali E. (Editors) 2017. **"Communities, Landscapes, and Interaction in Neolithic Greece". Internatnal Managrahp in Prehistory**, USA.

Schebesch A. 2013. "Five Anthropomorphic Figurines of the Upper Paleolithic - Communication Through Body Language", Mitteilungen der Gesellschaft für Urgeschichte, 22: 61- 100.

Schmidt K., 2006. **Sie bauten die ersten Tempel. Das rätselhafte Heiligtum der Steinzeitjäger**. Verlag C.H. Beck, München, German.

Schmidt K., 2010. "Göbekli Tepe - the Stone Age Sanctuaries. New results of ongoing excavations with a special focus on sculptures and high reliefs". **Documenta Praehistorica,** Vol., XXXVII: 239- 256.

Spence M. W., 1996. "Commodity or Gift: Teotihuacan Obsidian in the Maya Region". Latin American Antiquity, Vol. 7, No. 1: 21-39.

Steimer-Herbet T, 2010. Stèles d'Arabie: 166- 169. In: **Routes d'Arabie, Trésors archéolo-giques du royaume d'Arabie Saoudite.** edited by André-Salvini, Sophie Makariou, and Françoise Demange. Somogy-Éd. d'art, Paris.

Steimer-Herbet T., Saliège ,J-F., Sagory T., Lavigne O., as-Saqqaf A., Mashkour M., Guy H., 2007. "Rites and funerary practices at Rawk during the fourth millennium BC (Wadi 'Idim, Yemen)". **Proceedings of the Seminar**

for Arabian Studies, Vol. 37: 281-294.

Steimer-Herbet T.,2020. "Rawk: Statue-Menhirs and Anthropomorphic Statues of Ancient Wādī ʿIdim". 455-474. In: **Landscape History of Hadramawt: The Roots of Agriculture in Southern Arabia (RASA Project 1998-2008)**. McCorriston J. Harrower M. J., (Editors). Cotsen Institute of Archaeology. University of California. SUA.

https://escholarship.org/uc/item/3hm5b9p0#main

Studzitskaya S., 1971. "Otrazhenie Etnicheski Prosessov v Melkoi Plastike Drevneishego Naseleniya Severa Evropeiskoi Chasti SSSR". In: Istoriya I Kultura Vostochnoi Evropi po Archeologicheskim Dannim. (The Reflection of Ethnic Processes in Figurines Made by the Inhabitants of the Northern European Territories of USSR". In: **History and Culture of the Enstern Europe by the Archaeological Data**. Moscow, Nauka: 23-45. (In Russian).

Studzitskaya S. V. 1985. "The image of a person in small sculptures of the Neolithic tribes of the forest zone of the European part of the USSR". In: **New materials on the history of the tribes of Eastern Europe in the Stone and Bronze Age**. **Moscow**, 1985, (**Proceedings of the State Historical Museum**; issue 60): 108-113. (In Russian).

Studzitskaya S., 1994. "Osobennosti Duchovnoi Kulturi Volosovskich Plemen. Drevnosti Oki". Trudy GIM. (The Volosovo Inhabitants 'Mentality Features. The Oka River Antiquities). Studies of the State Historical Museum), 85. Moscow: 63. (In Russian).

Talalay L., 1993. **Deities, dolls, and devices: Neolithic figurines from Franchthi Cave, Greece**. Bloomington: Indiana University Press.

Taylor L., 2019. **The Snake Goddess Dethroned: Deconstructing the Work and Legacy of Sir Arthur Evans**. The Honors College University of Maine.

https://core.ac.uk/download/pdf/217153892.pdf

Timothy I., 2017 (Editor)**. Prehistoric Human Figurines in the North American Arctic**. The Oxford Handbook of Prehistoric Figurines.

Ucko P. J. 1968. **Anthropomorphic Figurines**. Royal Anthropological Institute.

Utkin A., Kostyleva E., 1996. "Antropomorphyie Izobrazheniya Volosovskoi Kulturi". kwerskoi Archeologicheskiy Sbornik. (volosovo Anthropomorphic Depictions. **Twer Archaeological Review**), II. Twer: 259- 270. (In Russian).

Utkin A. V., Kostyleva E. L. 2006. "Birth" and "death" of the Volosovo culture // Archaeological study of Central Russia: Proceedings. international conference dedicated to the centenary of the birth of V. P. Levenok. Lipetsk, 2006. S. 124-126. (In Rassian). https://en.wikipedia.org/wiki/Volosovo_culture

https://web.archive.org/web/20161021165235/http://amu.ivanovo.ac.ru/pubs.php?do=11&id=39

Zamyatnin S., 1948. "Miniaturniye Kremneviye Skulpturi v Neolite Severo-Vostochnoy Evropi. Sovetskaya Archeologiya. (The Neolithic Flint Sculpture of the Northeastern Europe. Soviet Archaeology), X. **Moscow**: 85-123.

https://svajksta.by/wp-content/uploads/2016/10/zamiatin_kremien.pdf

Zarins J., 1979. "Rajajil - A Unique Arabian Site from fourth Millennium B.C". **Atlal**, Vol, 3: 73- 78.

Zarins J., Mohammad Ibrahim, Potts D., Edens Ch., 1979. "The Preliminary Report on the Third Phase of the CASP - the Central province". **Atlal**, vol.3: 9-42.

Zimina M., 1992. "Zapad Russkoy Ravnini. Iskusstvo v Neolite i Eneolite". In: lskusstvo Kamennogo Veka: Lesnaya Zona Vostochnoi Evropi. (The West of the Russian Plain. Neolithic and Aeneolithic Art. In: **Stone Age Art: The European Russian Forest Zone**. Moscow, Nauka. (In Russian): 112- 130. (In Russian).

Zver and Chelovek 2009. Ancient pictorial art of Eurasia. **Materials of the scientific conference. Proceedings of the State Hermitage**. T. XLIV. SPb. Publishing house of the State. The Hermitage. (In Russian).